

الباب الثامن عشر

ما قيل فيها على طريق العموم والكلام على فصل الربيع

قال الشيخ جمال الدين أبو الفرج بن الجوزي تغمده الله برحمته أطيب الزمان الربيع ومن أحسن أزهاره الورد وزيارته زيارة ضيف في ليل صيف، وقال بعض الحكماء من أراد أن ينظر إلى الجنة فلي نظر إلى ديار مصر في زمن الربيع قبل طلوع الشمس. وقال على بن أبي طالب كرم الله وجهه توقوا أول البرد وتلقوا آخره، وانظروا إلى فعله في الأشجار فإنه في أوله يحرق وفي آخره يورق.

وقال بعض الحكماء هواء الربيع مورق فتلقوه وهواء الشتاء محرق فتوقوه فعله في أجسادكم كفعله في أشجاركم، وقال بقراط الحكيم من لم يتهج بالربيع وأزهاره ولم يستمتع ببرد نسيمه فهو فاسد المزاج محتاج إلى العلاج وكان المأمون يقول أغلط الناس طبعاً من لم يكن في زمن الربيع ذا صبوة، والله در ابن المعتز حيث قال الأرض في زمن الربيع عروس مختالة في حلق الأزهار متوجة بأكاليل الأشجار متوشحة بمناطق الأنهار والجو خاطب لها، قد جعل يشير بمخصرة البرق، ويتكلم بلسان الرعد ويثر من القطر أبدع نثار.

وقال غيره وحللنا موضع كذا فافترشنا من زهره أحسن بساط واستظللنا من شجره بأوفى رواق وطفقنا نتعاطى شموسا من أكف بدور وجسوم نار في غلائل نور إلى أن جرى ذهب الأصيل على لجين الماء وشبت نار الشفق بفحمة الظلماء.

وقال الشيخ جمال الدين بن نباتة رحمه الله كتبها المملوك ومنظر الروض قد شاق ودمع الغيث قد رقاً ووجه الأرض قد راق والغصون المنعطفة

قد أرسلت أهواء القلوب بالأوراق وحمائمها المترنمة قد جذبت القلوب
بالأطواق والورد قد احمر خده الوسيم وفكت أزواره من أجياد القضب أنامل
النسيم وخرجت أكفه من أكامه تأخذ البيعة على الأزهار بالتقديم.

وقال الشيخ برهان الدين القيرواني يوم أنيق وغيم رقيق وروض إذا
تسلسل ماؤه المطلق تهلل وجه الطليق وإذا نحرت السقاة فيه دماء الزقاق
صارت أيامهم كلها أيام تشريق وإذا خلط من الشرب ثياب سروره غار من
أرجه المسك الفتيق.

وقال علي بن ظافر في منزل قد انعطفت قدود أشجاره وابتسمت ثغور
أزهاره وذاب كافور مائه على عنبر طينه وامتدت بكاسات الجلنار أنامل غصونه
والنسيم قد خفت واعتل وسقط رداؤه الخفاق في الماء قابتل. ووهت قواه
حتى ضعف عن السير واشتد مرضه حتى ناحت عليه الطير قال الشيخ علاء
الدين بن ظافر العسقلاني في كتابه بدائع البداية اجتمعت أنا والقاضي الأعز
يوما فقلت له أجز:

طار نسيم الروض من وكر الزهر

فقال:

وجاء مبلول الجناح بالمطر

وهذا من اللفظ الارتجال.

وقال محيي الدين عبد الظاهر والأغصان قد اخضر نبات عارضها
ودنانير الأزهار ودراهمها قد تهيأت لتسليم قابضها والمنثور قد نظمت قلائده
ودبت ولأئده والجوز قد جاوز السها بالتياشير والسرور قد كشفت عن سوقها
فقال لها تلك الغدران بهديرها أه صرح مرمرد من قوارير والورشان وقد
لاحظ جفنه الوسنان والورد وقدورد والبان وقد بان.

وحكى لي بعض اللطفاء: قال كنا بمجلس أنس فقال بعض الحاضرين

ورد الورد وبان البان، فقال آخر بديها ودنا الدن وحان الحان وهذا من أطف
ما يكون، ولبعضهم:

هذا زمن الربيع والكاسب فيه . من نادمه الحبيب والكاس فيه
والعين تصيب كل من نمس فيه والدهر يقول كل من نم سفيه
غيره:

هذا زمن الربيع قم وانتبه الراح تزيل كل ما أنت به

وقال سيف الدين سمنديار:

يا حبذا زهر ونهر فضلا بحلى صدور للنهى بورود
من لم يزر فضل الربيع وجعفر ما دام يحيى فهو غير رشيد
وقال المعوج الشامي:

إن كان فى الصيف ريحان وفاكهة فالأرض مستوقد والجو تنور
وإن تكن فى الخريف الدوح مذهبة فإن زؤراقها بالريح مشور
وإن يكون فى الشتاء الغيم متصلا فالأرض عريانة والجو مقررور
ما الدهر إلا الربيع المستنير إذا جاء الربيع أتك النور والنور
فالأرض ياقوتة والجو لؤلؤة والنبت فيروزج والماء بلور
وقال أبو نواس فيه:

قصر الليل حين طال النهار وأتانا بطيبه إير
فلوجه الربيع نشر ونور ولوجه الشتاء فيه اغبرار
وإذا أعين الغمام استهلت وتباكت تضاحك الأزهار

غيره:

إن فصل الربيع فصل مليح تضحك الأرض من بكاء السماء
ذهب حيث ما ذهبنا ودر حيث درنا وفضة في الفضاء
قلت لا يخفى ما فى البيت الأول من الطباق بين ضحك الأرض وبكاء
السماء، ولكن لو قال بدل نصفه الثانى نحن فى السعد منه كالأغنياء لكان
أولى وأنسب لما بعده، وهو قوله ذهب حيث ما ذهبنا إلى آخره.

ابن الوكيل فى فصل الخريف:

ولما جلا وجه الخريف محاسنا وصفو ماء النهر إذ غرد القمري
أتاه النسيم الرطب رقص دوحه ونقط وجه الأرض بالذهب المصرى
وقال علاء الدين بن أبيك فيه:

أوراقنا فى الخريف تحكى على النهور المسلسلات
شبه دنانير صففوها على سيوف مسلمات
وقال غيره:

لا تأمن فصل الخريف فإنه مستعذب وهوؤه خطاف
يسرى من الأرواح فى أجسادها بلطافة ومن اللطيف يخاف
وقال آخر:

تأمل ترى أرض الخريف عليلة من الحزن حتى عاها وابل القطر
وعالجها فصل الربيع فعوفيت فنقطت الأزهار بالبيض والصفير

وقال غيره :

سألت الغصن لم تعرى شتاء
فقال لى الربيع على قدوم
وتبدو فى المصيف وأنت كاسى
خلعت على البشير به لباسى

حمديس الصقلى :

باكر إلى اللذات واركب لها
من قبل أن ترشف شمس الضحى
سوابق اللهو ذوات المزاح
ريق العوادى من ثغور الأقاح

أبو جعفر بن طلحة وزير ابن هود سلطان الأندلس وكتابه:

والشمس لا تشرب خمر الندى
فى الأرض إلا بكؤوس الشقيق

ابن المعتز وقيل للشامى :

أما ترى الأرض قد أعطتك زهرتها
فلسماء بكاء فى حدائقها
مخضرة واكتسى النور عاريها
وللرياض ابتسام فى نواحيها

ابن العلاء السرورى :

مرنا على الروض الذى قد تنسمت
فلم نر شيئاً كان أعجب منظرا
رياه وأرواح الأباريق تسفك
من الروض يجرى دمه وهو يضحك

ابن طباطبا :

انظر إلى زهر الرياض كأنه
والنور يهدى كالعقود تبددت
وشى تنشره الأكف منمنم
والورد يخجل والأقاحى تبسم

ابن تميم :

وأظل منها تحت ظل صافى
والماء يلقيانى بقلب صافى

حديثا ففاحت من شذاه المسالك
ثغور لما قال النسيم ضواحك

وبما عهدنا ن تعاهد طولها
حتى تبسم ضاحكا من قولها

يجلو بها العانى صدا همه
وزهرها يضحك فى كومه

فى ظل أكناف النعيم
وتحت أزيال النسيم

قد حباننا باللطف والإكرام
أخرجتها لنا من الأكمام

لم لا أهيم إلى الرياض وطيبها
والزهر يلحظنى بثغر باسم
محيى الدين بن قرناص وأجاد:

أظن نسيم الروض والزهر قد روى
وقال دنا فصل الربيع فكله

ابن نباتة:

أهلا بسائرة الصبا من نحوكم
أملت على الزهر المقطب ذكركم
بدر الدين يوسف الذهبى:

هلم يا صاح إلى روضة
نسيمها يعثر فى ذيله
وأجاد ابن عمار:

يا ليلة بتنا بهـ
من فوق أكمام الرياض
وتلطف ابن قرناص فيه:

مذ سعينا نبغى زيارة دوح
ناولتنا أيدي الغصون ثمارا
شهاب الدين بن دمرdash:

أنظر إلى الأشجار تلق رؤسها
وعبيرها قد ضاع من أكمائها

موفق الدين الحكيم:

وأودع صدر الروض سرا أذعته
وقد نثرت أيدي السما لآلئنا

الوليد ابن جنان:

ودوحة أطربت منها حمائمها
تحكى الكمامة منها راحة قبضت

وقال ابن قرناص:

قد أتينا الرياض حين تجلت
ورأينا خـواتم الزهر لما

ابن إدريس اليماني:

وفتيان صدق عرسوا تحت دوحة
كأنهم والزهر يسقط فوقهم

وتلطف ابن عباد الإسكندري بقوله:

ودوحة كالسماء نادمنى
فأنشأت بالنجوم ترجمنى

وقال آخر:

شابت وطفل ثمارها ما أدركا
وغدا بأذيال الصبا متمسكا

لسان نسيم ضاع مسكا لناشق
نظمن حبابا فى كؤوس الشقائق

أفق السماء فلم يبرح ينقطها
يلقى السحاب لها درا فيبسطها

وتحلت من الندى بجـمان
سقطت من أنامل الأغصان

وما لهم غير النبات فراش
مصاييح يهوى نحوهن فراش

من تحتها بدرها على حذر
وذاك من غيرة على القمر

ماس القضيب بروضة من سكره لما سقاه عقاره آدار
حتى إذا سرق النسيم دراهما من كمه صاحت به الأطيّار
وتذكرت هنا مطلع زجل لطيف وهو:

سرق الغصن قد محبوبى واخترتفى فى الورق
قطع الغصن صاحت الأطيّار ذا جزاء من سسرق
غيره:

رعى الله دوحا قد حللنا ظلاله وطاب لنا فيه مقييل ومسرح
سعيينا إليه خلسة كنسيمة وعدنا كأغصان به تترنح
السرى الرفاه:

وحداتك يسبيك وشى برودها حتى تشبهها حدائق عبقر
يجرى النسيم خلالها فكأنما غمست فصول ردائه فى العنبر
وقال آخر:

والزهر أضحى على الأغصان منتظما كأنه لؤلؤ يبدو وياقوت
وللرياض على أرجائها أرج كان فيه ذكى المسك مفتوت
ابن النبيه:

طاب لربيع كأنما عجن الصبا كافور مزنته بعنبر طينه
وتفضضت أزهاره وتذهبت فكأها الطاووس فى تلوينه
وحكت جبين النهر طرة ظله مذ جعلتها الريح فوق غصونه
والطير تشدو باختلاف لغاتها موسى أدام الله فى تمكينه

بدر الدين الذهبى :

وجنات ألفتها حين غنت
نهرها مسرعا جرى وتمشت
حولها الورق بكرة وأصيلا
فى وياها الصبا قليلا قليلا
بعض المغاربة وأبدع :

وتحدث الماء الزلال مع الحصى
فكأن فوق الماء وشيا مظهرا
فجرى النسيم عليه يسمع ما جرى
وكأن تحت الماء درا مضمرا
الوزير المناوى :

وقانا لفحة الرمضاء واد
نزلنا دوحه فحنا علينا
وأرشفنا على ظمأ زلالا
يصد الشمس أنى واجهتنا
سقاء مضاعف الغيث العميم
حنو المرضعات على الفطيم
ألد من المداممة للنديم
فيحجبها ويأذن للنسيم
تروع حصاه حالية العذارى
فتلمس جانب العقد النظيم

ولهذه الأبيات حكاية لطيفة ذكرها الحافظ اليعمورى وذلك أنا أبا نصر
المازنى وقد على أبى العلاء المعرى بالشام صحبة جماعة من أهل الأدب فأنشد
كل واحد منهم ما تيسر وأنشد المازنى هذه الأبيات، وأبو العلاء رجل ضرير
لا يعرف أحدا منهم فقال للمازنى أنت أشعر من بالشام ثم رحل أبو العلاء
إلى بغداد فاتفق أن المازنى دخل عليه أيضاً مع جماعة من الأدباء فأنشد كل
واحد من شعره ما تيسر، وأنشد المازنى لنفسه :

لقد عرض الحمام لنا بسجع
شجا قلب الخلى فقليل غنى
وكم للشوق فى أحشاء صب
ضعيف الصبر عنك وإن تقاوى
كذاك بنو الهوى سكر صحاة
كأحداق المها مرض صحاحا

فقال له أبو العلاء ومن بالعراق فانظر إلى نور بصيرة هذا الأعمى كيف عرف رؤية هذا الشاعر وصوته من غير أن يرى شخصه ولا سمى له نفسه وعطف قوله من بالعراق على قوله من بالشام بعد مدة طويلة مجير الدين بن تميم:

ونهر خالف الأهواء حتى
إذا سرقت حلى الأزهار ألق
وقال أيضاً:

سرق النسيم حلى الغصون بسحره
ورمى بها نحو الغدير فضمها
محى الدين بن قرناص:

حسناً ما رأيت من فعل نهر
فهو من فرط وجهه قد رآها
سيف الدين المشد:

ولقد شربت مع الحبيب مدامة
والروض بين تكبر وتواضع
وقال الصفدى:

لما زها زهر الربيع بروضة
قام الحمام له خطيبا بالثنا
ابن قرناص:

يا حسنها من رياض غدا
جرى الماء فيها على رأسه
القسم بن على معارضا:

انظر إلى الغدران كيف ترقرت
معكوسة الأشكال تحسب أنها
وقال آخر:

ونهر بحب الروض أصبح مفرما
إذا بعسدت عنه شكا بخيريه
ابن تميم:

ونهر بحب الروض أصبح مفرما
ويطر به صوت الحمام بدوحه
غيره:

عذراء إلا أنها شمطاء
شمخ القضيب به وخر الماء

وغداله فضل يبين عليه
وجرى الغدير فخر بين يديه

جنودها فنونا بأفنانها
لتقبيل أقدام أغصانها

فبدا بها شنج الغصوت المليس
قامت على الأيدي له والأرؤس

يروح ويغدو هائما بوصالها
جفاها وأمسى قانعا بخيالها

له زجل من حوله وغسدير
فيرقص فى أرجائه ويدور

والنهر د على الغصون محبة
فتراه يجرى لاثما أقدامها
وقال آخر:

ونهر بحب الروض أصبح هائا
يقبل أقداما له وهى تنثنى اح
الوجه المناوى:

وبركة بالروض محفوفة
راحت بقد الغصن مشغوفة
ابن تميم:

وحديقة ينساب فيها جدول
يبدو خيال غصونها فى مائه
ابن خفاجة:

قدرق حتى ظن درعا مفرغا
وغدت تحف به الغصون كأنها
وقال غيره:

ولما نزلت الحى عاينت روضة
وفيهها غدير ماؤه متسلسل
وقد جعلته الريح حتى كأنه

ظلت تطيل صدوده وجفاه
وخريره يشكو الذى يلقاه

وكل مناه أن يميل إليه
تيالا ولم تبرح تطول عليه

رائقة فى حسنها صافية
حتى غدت تدعى له جارية

طرفى برونق حسنه مدهوش
فكأنما هو معصم منقوش

من فضة فى برده خضراء
هدب يحف بمقلة زرقاء

شقائها تزهو كخد مورد
به الموج يحكى ثوب وشى مزرد
إذا ما رأته العين صفحة مبرد

ابن الزقاق البلنسى:

وروضة عاطر بنفسجها
مظاهر وشيها وسندسها
خاف عليها الغمام حادثة
فسل سيف البروق يحرسها

سيف الدين المشد:

كأنما النهر إذ مر النسيم به
والغيم يهيم وضوء البرق حين بدا
رشق السهام ولمع البيض يوم وغى
خاف الغدير سطاها فاكتسى زردا

وقال آخر:

والماء تلعب أطراف النسيم به
ما بين ماض وآت أى تلعب
كأنه زرد الزعف المضاعف أو
نقش المبارد أو تفريك أثواب

وقال الصفدى:

النهر يسرى فى الرياض وثوبه
بيد النسيم مفرك مصقول
والغصن توقظه الصبا فيقوم من
خبل الرقاد وفرعه مهدول
وله أيضاً:

وروضة ملاء الأكياس كأسهم
فيها وكم أفرغوا فى ذاك أكياسا
غصونها من سلاطات النسيم غدت
تميل سكرها ولم ترفع لها رأسا

ابن تميم:

وحديقة مالت معاطف
دوحها من غير سكر
والنهر ساع قد غدا
بسعادة الأزهار يجرى

سيف الدين المشد:

كأئما الروض حين وافى
سقاء صوب الغمام خمرا
فاحمر خد الشقيق منه
ومال قد القضيب سكرا

وقال آخر:

وروضة من قرقف جدولها
وغناء الورق منها فى ارتفاع
لا تلم أغصانها إن رقصت
فهى ما بين شراب وسماع
الشريف على بن دمخوان:

ودوحة سكرت أغصانها
فلهوى فى معانيها إشارات
ماست فنقطها غيث بلؤلؤه
ففوق أوراقها منه جمانات
فهن فى العين ها آت مطمسة
من اللجين وإن سالت فميمات

القيراطى من قصيدة:

تشوقنى ألفت الروض مائلة
من النسيم سكار وهى دالات
ولى من الورق فى أوراقها طرب
كأنهن على العيدان قينات

على بن سعيد الأندلسى:

كأئما النهى صفحة كتبت
أسطرها والنسيم منشيها
لما أبانت عن حس منظرها
مالت إليها الغصون تقريها
وقال أيضاً:

سقى الله بستانا حللنا بدوحه
وقد مالت الأغصان من كثرة الشرب
تراقصت الأغصان فيه ونقطت
مغانى الرياض السحب باللؤلؤ الرطب

القاضي زين الدين ابن العجمي :

أنظر إلى الغدران كيف تجعدت
وحكت سطورا في طروس خطها
شهاب الدين أحمد الفرسي :
ويد الشمال عشية مذ أرعشت
كتبت سقيما في صحيفة جدول
وأجاد ابن نباتة :

سقيا لمعهد أنس كان يسند لي
حيث النسيم يجر الذيل من طرب
والنهر طرس تخط الريح أسطره
وقال ابن الساعاتي :

لله يوم في سسيوط وليلة
بتنا وعمر الليل في غلوائه
والطير تقرأ والغدير صحيفة
أبو الحسين مطرف الغرناطي :

وعشي أنس أضجعتني نشوة
خلعت على بها الغمامة ظلها
والشمس تحتج للغروب مريضة
فيه تمهد مضجعي وتدمت
والغصن يصغي والحمام يحدث
والردع يرقى والغمامة تنفث

وتلطف ابن نباتة :

صفراء صافية كما وضع الشفق
تملى الغنا والطل يكتب فى الوزق
والزهر يرفع زائريه على الحدق

قم يا غلام وهاتها فى جنة
هذى الحمائم فى منابر أيكها
والقضب تخفض للسلام رؤوسها
سیدی أبو الفضل بن أبى الوفا:

إليهن روض قد تناجت بلابله
ولا شاقنى فى الغصن إلا تمايله
رسول وأوراق الغصون رسائله
إذا أنفذت لى ما حوته حواصله

رعى الله أياما أهاج بلابلى
فما راقنى فى الماء إلا صفائه
كأن به القمرى صب له الصبا
مصارف همى فى مناجاة طيره

ابن سكرة الهاشمى :

وظاهر الروضة قد أعشبا
نقطف منها كوكبا كوكبا

أما ترى الروضة قد نورت
كأنما الأرض سماء لنا

ابن الزقاق البلنسى :

فحكى الصبح فى الظلماء ماض
تنوب لنا عن الحدق المراض
نقلن من السماء إلى الرياض

أديروها على الزهر المفدى
وكاس الراح تنظر عن حباب
وما غربت نجوم الليل لكن

وقال آخر :

وزين أزهارها ناظرة
فلاحت به الأنجم الزاهرة

كأن المياه خلال الرياض
سماء تقطع فيها الغمام

ابن تميم:

وبركة ماء يملك العين صفوها
ويسرح منها في الحمائل جدول
وله أيضاً:

والنهر لما أن زها نثرت له
وأراد يحميه فجرد حوله
ابن عباد الديلمي:

نهر يهيم بحسنه من لم يهيم
فكأنه وكان خضرة شطه
علاء الدين الوداعي:

والروض يهدى مع نسيم الصبا
وراسل القمري ورقاءه
والنهر كالمبرد يجلو الصدا
أخذة الشيخ جمال الدين بن نباتة فقال:

يا حبيذا روض يشوق الناظر المتـرددا
والنهر فيه كمـبرد فلأجل ذا يجلو الصدا

لكن نقص نهـره وكل مبرده عن نكتة ببرد في بيت الوداع

وأجاد ابن الساعاتي بقوله:

وكأن جدوله حسام مرهف
صدأ الظلال يزيد رونق حسنه
أبو القسم بن العطار:

ما أن يزال مدى الزمان مجردا
أرأيت سيفاً قط يصقله الصدا

ركبنا على اسم الله نهرا كأنه
وإلا حسام حال فيه فرنده
محمد بن الحسن:

حيبا على عطفيه وشى حباب
له من مديد الظل أى قراب

والنهر مكسوا فلاله فضة
وإذا استقام رأيت صفحة منصل
أبو العباس الأعمى:

وإذا جرى سيل فثوب نضار
وإذا استدار رأيت عطف سوار

وجدول ماء كالمجرة أسبغت
صفا ماؤه حتى كان انصبابه
جمال الدين النابلسى الصوفى:

بحافاته الأنهار من نسجها بسطا
حسام إذا ما سل أو حية رقطا

يا حسن زهر الدوح فتح بعضه
وكأنما أغصانه أهل الهوى

والبعض مضموم عليه ختام
ذا كاتم سورا وذا نمام

ابن نبيه من قصيدة وأبدع إلى الغاية:

وروضة وجنات الورد قد خجلت
تشاجر الطير فى أفنانها سحرا
والظل قد رش ثوب الدوح حين رأى

فيها ضحى وعيون النرجس انفتحت
ومالت القضيب للتعنيق واصطلاحات
مجامر الزهر فى أذياله نفحت

وقال آخر:

أنظر إلى الأغصان كيف تعانقت
كالصب حائلة قبلة من أليفه
وتفارقت بعد التعانق رجعا
ورأى المراقب فائثنى مسترجعا

الوداعى:

ويوم لنا بالنيرين رقيقة
وقفنا وسلمنا على الدوح بكرة
حواشيه خال من رقيب يشينه
فردت علينا بالراءوس غصونه
بدر الدين يوسف الذهبى:

أدر كؤوس الراح فى روضة
الطير فيها شيق مغرم
قد تمقت أردانها السحب
وجداول الماء بها صب

وقال آخر:

ما فتح النور إلا أشرق النور
يا حبذا ودروع الماء ينسجها
فما اشتغالك والمنثور مشور
أنامل الريح لولا أنها زور

ابن رشيق:

قم فاسقنى قهوة إذا ابنعثت
كأن أيدي الرياح قد بسطت
فى باخل جاد بالذى ملكه
فى متته أظهرت لنا حبه

ابن نباتة:

قفا فاعجبا من هامل الغيث أنه
يمد على الآفاق بيض خيوطه
لأحسن شيء يعجب العين والفكرا
فينسج منها للثرى حلة خضرا

ابن خفاجة:

وما الأنس إلا فى مزاج زجاجة ولا العيش إلا فى صرير سرير
وإنى و خنت المشيب لمولع بطرة ظل فوق وجه غدير

ومن هنا أخذ ابن نبيه فقال فى مطلع قصيدة:

تبسم ثغر الزهر عن شنب القطر ودب عذار الظل فى وجنة النهر
وهى قصيدة بديعة زهرية وسأذكر الغرض منها فى موضعه ومثله قوله
من قصيدة:

والنهر خد بالشعاع مورد قد دب فيه عذار ظل البان
والماء فى سوق الغصون خلاخل من فضة والزهر كالتيجان
ويعجبنى قول بعضهم:

سر نحو دوحتنا التى لما انجلت جعل السحاب نثارها من ظلها
وأعجب لنهر من عطاء حياؤها ويعيش طول زمانه فى ظلها
وقال آخر:

كأنما النهر وقد حفت به أشجاره فصافحته الأغصن
مرآة غير قد وقفن حولها ينظرن فيها أيهن أحسن
ابن الرومى وقيل للصفدى:

وغدير رقت حواشيه حتى بان فى قاعه الذى كان ساخا
فكأن الحممام إذ وردته من صفا مائه تزق فراخا

وقال آخر:

وضاحية وردت بها غديرا يقدر من صفاء الماء أرضا
كأن الوحش حين تعب فيه يقبل بعضها للسوق بعضا

بدر الدين يوسف الذهبي وأجاد إلى الغاية:

وحديقة مطولة باكرتها والشمس ترشف ريق أزهار الربا
يتكسر الماء الزلال على الحصى فإذا غدا بين الرياض تشعبا

ومن هنا أخذ الشيخ برهان الدين القيراطي فقال من قصيدة:

وكأن ذاك النهر فيها معصم بيد النسيم منقش ومكتب
وإذا تكسر ماؤه أبصرته فى الحال بين رياضه يتشعب

الباب التاسع عشر

فى الجداول والشاذروانات والدواليب والنواعير والبرك والفوارات

قال بعضهم:

وما جدول ينساب من فوق شاهق
تكسر فوق الصحن بالجرى جسمه
كما انساب أيم فى صفيح غديره
فدل على آلامه بخريه

ابن تميم:

ألا رب يوم قد تقضى بروضة
بعينى رأيت الماء ألقى بنفسه
ظلت بها فى طول عمرى مفكرا
على رأسه من شاهق فتكسرا

وله فيه:

يا حسنه من جدول متدفق
ما زلت أنذره عيونا حوله
يلهى برونق حسنه من أبصرا
خوفا عليه أن يصاب فيعشرا
حتى هوى من شاهق فتكسرا
فأبى وزاد تماديا فى جريه

القاضى زين الدين بن العجمى:

تسلسل ماءى وهو لا شك مطلق
وفى قلب ماءى للقلوب مسرة
وصح حقيقا حين قالوا تكسرا
وقالوا سيجرى بالهنا وكذا جرى

القيراطى فى شاذروان:

يا حسن شادروان ماء لم يزل
ما أمه الجلساء يوم سرورهم
يهدى جواهره إلى الأضياف
إلا تلقاهم بقلب صافى

شهاب الدين ابن أبى حجلة:

وشاذروان ماء بات يجرى
كعين الصب روع يوم بين
إذا ما قيل جد بالماء سريعا
يقول نعم على رأسى وعينى

السلامى فى الدولاب وهو بفتح الدال وضمها:

والأرض طرس والرياض سطوره
والزهر شكل بينها وحروف
وكأنما الدولاب ضل طريقه
فتراه ليس يزول وهو يطوف
وقال ابن تميم:

تأمل ترى الدولاب والنهر قد جرى
ودمعهما بين الرياض غزير
وضاع النسيم الرطب فى الروض منهما
فأصبح ذا يجرى وذاك يدور

وأجاد بدر الدين يوسف الذهبى:

وروضة دولابها
إلى الغصون قد شكى
من حين ضاع نشرها
دار عليه وبكى
وقال آخر:

رب ناعورة كأن حبيبها
فارقته وقد غدت لى تحكى
أبدا هكذا تنن بشجو
وعلى ألفها تدور وتبكى
وتلطف ابن تميم:

أبا حسنها من روضة ضاع نشرها
فنادت عليه فى الرياض طيور
ودولابها كادت تعد ضلوعه
لكثرة ما يبكى بها ويدور

ابن نباتة:

وناعورة قسمت حسنهما
وقد ضاع نشر الربا فاغتدت
على واصف وعلى سامع
تدور وتبكي على الضائع

أبو الفضل بن وفا:

هل طربا دارت دواليبنا
أم فقدت في الروض ألفا لها
بضوع ربح الزهر الشائع
فلم تدر إلا على ضائع

وقال آخر:

أشبهه من بين القواديس صوتها
بأرملة ضمت إليها بناتها
ومن كل وجه مأوها يتحدر
تنوح بشجوى والمدامع تقطر

الحويان:

وصامتة تتغنى لنا
تراها كـذا أبدا دهرها
وأدمعها بين سفح وسفك
تدور على غير شيء وتبكي

ابن نباتة:

وناعورة قالت وقد حال لونها
أدور على قلبي لأنى فقدته
وأضلعها كادت تعد من السقم
وأما دموعي فهي تجرى على جسمي

وقال آخر:

أبدى لنا الدولاب قولاً معجبا
إنى من العجب العجيب كما ترى
لما رأنا قادمين إليه
قلبي معه وأنا أدور عليه

شهاب الدين بن فضل الله :

يا حسن دولابنا الذى سلبت
أعجب ما فيه أنه أبدا
قلوبنا طيب أصواه الغردة
ييكى على قلبه وما فقدته

وقال آخر :

وذات شـجـو أسـمـالت
تبكى بـفـرط دمـوع
مـدـامـعـا لم تصـنـها
ويضحك الروض منها

غيره :

حنت وأنت وفاض مدمعها
فأحيت الأرض من مدامعها
من أعين ما تخاف من رمد
وأحرق من أنينها كبسدى

ابن سناء الملك :

وساقية نزلت بها وألفى
فصوت أنينها يحكى أنينى
أودعه كتوديع المروع
وفيض مياها يحكى دموعى

غيره :

وناعورة قد ضاعفت بنواحيها
وقد ضعفت مما تئن فقد غدت
نواحي وأجرت مقلتاى دموعها
من السقم والشكوى تعد ضلوعها

ابن تميم :

أبدت لنا بالعذر ناعورة
تقول لما غاب قلبى وقد
أدمعها فى غاية السكب
ضعفت بالنوح وبالندب
صيرت جسمى كله أعينا
تدور فى الماء على قلبى

وله أيضاً:

وناعورة مذضاع منها قلبها
وتعللت بلقائه فلأجل ذا
دارت عليه بانة وبكاء
جعلت تدير عيونها في الماء

وقال آخر:

له دولاب يدور بسلسل
قد طارحته بد الحمام بشجوها
في روضة قد أينعت أفنانا
ويجيبها فتخالها ألحانا
بيكى ويندب ربع من قد حانا
فتفجرت أضلاعه أجفانا
ضاق مجارى جفته عن دمه

وقال آخر:

ناعورة لما رأتنى مفكرا
كم فى عجب برى مع أنى
لا رأس فى جسدى وقلبى ظاهر
للتاظرين وأعينى فى الأضلعى
قالت ولم تدر المقال ولم تعى
أبدا أسير ولا أفارق موضعى

ابن الوردى:

ناعورة مذعورة
الماء فوق كتفها
ولهانة وحائرة
وهى عليه دائرة

مجير الدين بن تميم وهو من المعانى المخترعة:

وناعورة شبهتها حين ألست
بطاووس بستان يدور وينجلى
من الشمس ثوبا فوق أثوابها الخضر
وينفض من أرياشه بلل القطر

ابن الرومى :

تفرق بالكيـزان ناعورة
فتارة تحسبها قينة
كأئما كـيزانها أنجم
الخطيرى :

وكريمة سقت الرياض بدرها
كمسير مشتاق وحنة مدنف
وقال آخر :

لله أزهار دوح كاد يضحكها
حكـت نجوم السما أزهارها فلذا
سعد الدين بن عربى وأجاد :

شاهدت دولابا له أدمع
فأعجب له من فلك دائرا
وقال آخر :

الأرض تشرب والدولاب يسقيها
اشرب على ربة الدولاب ما حملت
كأنه حبشى فوق عاتقه
ابن الوردى :

حينها كالربط الناعر
تردد اللحن على الزامر
دائرة فى فلك دائر

فغدت تنوب عن الغمام الهامع
ودموع مهجور وأنة جازع

صوب الغمام بدمع منه منسفا
أضحى يدور بها الدولاب كالفلك

تكفلت للروض بالرى
ما فيه برج غير مائى

والكاس تخضب منا كف ساقها
من الزلال وصبت فى مجاريها
أولاده هو فى بحر يدلها

حالة الدولاب دلت
كان يسقى ويغنى

وقال غيره:

ودولاب إذا مـنا
سقى الغصن وغناه

ظافر الحداد:

وكأما الدولاب يزمر كلما
ركأما القمري ينشد مصرعا

غيره وأظنه للصفدى:

وناعورة حنت وأنت وقد غدت
ترقص عطف الغصن تيهها لأنها

ابن تميم مضطجعا:

ودولاب روض كان من قبل أغصنا
تذكر عهدا بالرياض فكله

سیدی أبو الفضل بن وفاء من أبيات:

في روضة نشرت من حليها حللا
عاينت روية دولاب وسبحته

لغز في ساقية:

إنه في فـرط حـزن
صار يسقى ويغنى

ح زاد القلب أشـجانا
فما يبرح نشوانا

غنت وأصوات الضفادع شيز
من كل بيت والحمام يجيز

تعبر عن حال المشرق وتعزب
تغنى له طول الزمان ويشرب

يميس فلما مزقته يد الدهر
عيون على أيام عهد الصبا تجرى

مدنرات كأذناب الطواويس
قد أبدتا حين تسبيح وتقديس

وجارية لولا الحوافر ما جرت أشاهدها تجرى وليس لها رجل
وترضع أولادا وما هي أمهم وليس لها ثدى وليس لها بعل
وما أظرف قول الشيخ نجم الدين القجفيري وقد سأل جماعة من طلبته
عن قول الشاعر:

يا أيها الحبير الذى علم العروض به امتزج
ابن لنا دائرة فيها بسيط وهزج
ففكر بعض الطلبة فيها ساعة طويلة ثم قال هذا فى الساقية لأنه أراد
بالبسيط الماء والهزج صوت الساقية حال دورانها فقال له الشيخ أصبت إلا
أنك درت فيها زمانا حتى ظهرت لك وهذا من الشيخ فى غاية اللطف فى
ناعورة بثغر حماة:

ناعورة فى النهر أبصرتها تشوق الدانى والقاصى
قد نبهتنى للهدى والتقى لأنها تبكى على العاصى
وقال ابن أبى المنصور الدمياطى وزير الملك الأشرف من بلغاء المائة
السابعة مررنا فى بعض العشايا على بعض البساتين المجاورة لبحر النيل ورأينا
بثرا عليها دولابان متجاوبان قد دارت أفلاكهما بنحو القواديس ولبعت بقلوب
ناظريهما لعب الأمانى بالمفالس وهما يئنان أنين أهل الأشواق ويفيضان دمعاً
أغزر من دموع العشاق والروض قد جلا للأعين زبرجده والأصيل قد راقه
حسنه فثر عليه عسجده والزهر قد نظم جواهره فى أجياد الغصون والسواقى
قد أزلت من سلاسل فضتها كل مصون والنبت قد اخضر شاربته وعارضه
وطرف النسيم قد ركضه فى ميادين الزهر راكضه ورضاب الماء قد علاه من

الطل لمى وحيات المجارى حائرة تخاف من زمرد النبات أن يدركها العمى
والبحر قد صقل صقيل النسيم درعه وزعفران العشى قد ألقى فى ذيل الجوى
درعه فاستوذ علينا ذلك الموضع استحوذا وملاً أبصارنا حسناً وقلوبنا التذاذا
وملنا إلى الدولابين شاكين أزمرأ حين سجعت قيان الطير بألحانها وشدت على
عيدانها أم ذكر أيام نعماً وطابا مذ كان أغصانا رطابا فنفا عنهما لذيد الهجوع
ورجعا النوح وأفاض الدموع طلبا للرجوع.

الشيء بالشيء يذكر اجتمع الشيخ بدر الدين البشتكى والقاضى فخر
الدين بن مكانس مع جماعة من أعيان مصر فى سواقى الهمائل بشاطئ النيل
المبارك، وكان بين القاضى فخر الدين والشيخ بدر الدين مداعية، فقام البدر
البشتكى ودار فى الدولاب وكانت ليلة البدر فأنشد القاضى فخر الدين فيه
قصيدة بديعة كلها غرر ودرر فأحبيت إيرادها لثلا يخلو هذا المجموع اللطيف
منها وهى هذه:

دورة البدر فى سواقى الهمائل	تركت أدمع المحب هوامل
آه من للرياض ثور أديب	مظهر من كلامه سحر بابل
فاق سعيا على بنى عجل فى الجوى	د وأغنى من الولى الهاطل
زاد علما على أبى ثور لكن	قال بالدور مأؤه والسلاسل
قد أعار الجناس حس نوار	وأنته تورية فهو كامل
يا سعيدا أثرى من النظم والنشر	فأنسى الورى زمان الفاضل
قد سقيت الرياض يا شيخ بالدو	رفها غصنها من السكر مائل
لم تدع من نباتة لم تجدها	فابنتها بالثنا عليك يواصل
وابن قادوس كان طالع فى خد	متك اليوم بالأوامر نازل
وغدا بالظلال كل أديب	فى هجير الرمضا بفضلك قائل

تغزل الحسن بالند وتغازل
وبعثت المياه فيها خلاخل
هاج للطير والمحـب بلابل
رف أو كيميـاء ذهنك واصل
ما جرت في الرياض منك جداول
درت من النور للوجود الحامل
على الحسالتين عندك باقل
فلهـذا تبـدو وذلك آفل
يك عنى كدمع عيني سائل
للأريب المحب عند النوازل
يا فتى يـزرى بغصن الخمائل
واللحظ كلا الفاتنين أصبح ذبل
شاخصات إذا مشى وموائل
ما ترى للأعراب هذى العوامل
سق دلالا وللدلال دلائل
أنا قد بعث أجلى بالعاجل
أنت والله من غرامى غسافل
إن تكن يا أخى لهـمى حامل
من مجون والعيش كالبطل زائل
ل ولا زال غيث فضلك شامل

وبروحى عيون نرجس دوح
أنت شفتها بشعرك دهرا
كم غصون أينعتها فعليها
أنت فى الحالتين تصريفك الأحـ
أنت لو لم تكن بحار علوم
كنت عندى أجل قدرا وقد
وغدا قس بين لطفك والروض
أنت يا بدر فقت بدر الـدياجى
يا خليا أبته الشـجو إن لم
فالأديب المحب يشكو هواه
أنا مغرى بحب أحور ألمى
من بنى التـرك قدـه اللدن
أعين الزهر والغصون تراها
لا تقل لى الأعراب تحكيه حسنا
ماس عجباً وقصده يقتل الخلد
لا تلم فى عذاره هتك شيبى
لعمرى أنت الذكى ولكن
هاك حالى شرحته فأغتنى
واطرح عتبها فـعـيش المحبـيد
دمت يا جامع المحاسن والشم

أنت بدر أم أنت شمس فأنا قد رأيناك غرة في الأصايل
وكفيت الجزار يا أشرف القو م ومن جوده ينسى ابن باخل

فأجابه الشيخ بدر الدين بقصيدة منحة عن رتبة هذه القصيدة أثرت
حذفها خوف الملل والإطلة في بركة ماء:

وبركة للعيون تبدو في غاية الحسن والبهاء
كأنها إذ صفت ورقت في الأرض جزء من السماء
ابن تميم:

لقد قابلتنا بلعجائب بحرة مكملة الأوصاف والطول والعرض
كأن الذيرنو إليها بطرفه يرى نفسه فوق السما وهو في الأرض
وله في مليح يشرب بفيه من بركة:

أفدى الذي أهوى بفيه شاربا من بركة راقث وطابت مشرعا
أبدى لعيني وجهه وخياله فأرتنى القمرين في وقت معا
في بركة يسبح فيها مليح أسود:
يا أسودا يسبح في بركة فقت الورى حسنا وإحسانا
كنت لخذ الحسن خالا وقد صرت لعين العين إنسانا
ابن خفاجة فيه:

وأسود يسبح في لجة لا تكتم الخصباء غدراؤها
كأنها في شكلها مقلدة زرقاء والأسود إنسانها

شرف الدين الأسعد بن ممتى فى خليج فيه ملاح يعومون:

خليج كالحمام له صقال ولكن فيه للرائى مسره

رأيت به الملاح تجيد عوما كأنهم نجوم فى مجره

وقال صاحب بدائع البداية أخبرنى القاضى الأعز بن المؤيد قال اجتمعت

مع جماعة من أدباء الإسكندرية فى بستان لبعض أهلها فحللنا روضا تثنت

قامات أشجاره وتغنت قيان أطياره وبين أيدينا بركة ماء كجو سماء فثر عليه

بعض الحاضرين ياسمينا زان سماءها بزواهر منيرة وأهدى إلى لجتها جواهر

نثيرة فتعاطينا القول فى تشبيهه وأطرق كل منا لتحريك خاطره وتبنيه ثم

أظهرنا ما حررنا ونشرنا ما حبرنا، فأنشد عباس بن ظريف شعرا:

نثر الياسمين لما جنوه عبثًا فاستقر فوق الماء

فحسبنا زهر الكواكب يحكى زهر الروض فى أديم السماء

قال والذى قلت أنا:

نثروا الياسمين فى صفحة الماء فخلنا النجوم وسط السماء

فكأ السمماء فى باطن الأر ض أو الدر طف فوق الماء

وقال ابن تميم فى هذا المعنى:

ولما نثرنا الزهر فى الماء وانبرت تجعده أيدي الصبا والحبائب

حسبنا سماء قد تجعد غيمها ولاحت خلال الغيم زهر الكواكب

وحكى الأديب أبو الربيع سليمان بن إسماعيل المنبجى قال جمعنى

مجلس أنس مع الأديب أبى إسحاق إبراهيم بن أبى الثناء المنبجى بالفيوم فى

بستان فيه بركة وفوارة ماء، وقد ثرنا على الماء باسمينا فتجاذبنا أهداب
وصفها.

قال أبو إسحاق:

بركة تصعد الأنابيب منها يقعد الماء فوقها ويقوم
فلذا اطلعت فواقع تبدو كالقوارير من زجاج تعوم

وقلت أنا:

وبركة تذهل العقول لها تحار في وصف حسنها الفكر
كأنها مقلة محذقة عبري من الوجد نالها السهر
تخال أنبوبها لصحته والماء يعلو به وينحدر
كصولجان من فضة سبكت فواقع الماء تحتها أكر

وقال آخر في بركة وفوارة:

وبركة ماؤها يسمو بها أبدا إذا جرى مسرعا من كل دستور
كأنه إذا بدا في الجو متشيرا در تناثر من قضبان بلور

وقال آخر:

أحسن ما أبصرت فوارة تبعث بالماء لدون السما
كأنما الماء الذي أرسلت عمود نور قائم في الهوا

ابن تميم مضمنا:

لقد نزهت عيني أنابيب بركة تقابلني أمواها بالعجائب
أنابيب سحت في علو كأنما تحاول ثارا عند بعض الكواكب

وله مضمنا أيضاً:

لو كنت إذ أبصرتها فوارة
لرأيت أعجب ما يرى في بركة
للشمس في أمواجهها لألاء
سال النضار بها وقام الماء

الوجه المنازى:

فوارة تشبه في شكلها
تلهيك بالحسن فقد أصبحت
سبيكة من ذهب خالصة
جارية ملهية راقصة
وقلب بعضهم هذا المعنى فقال:

وقينة ملهية قد غدت
جارية راقصة أشبهت
تستوقف السامع والرائى
في وصفها فوارة الماء

ابن حجاج:

صنعت في دارك فـوارة
فاض على نجم السما ماؤها
أغرقت في الأرض بها الأنجما
فأصبحت أرضك تسقى السما

القاضى زين الدين بن الخراط فسح الله فى أجله:

تعبدت بالشكر حتى لها
من نغسها ماء ومحراب

ابن المعتز فى بئر ماء:

حفرتها جوفاء منقورة
تضمن رى الجيش للمستقى
فى دمت سهل وطيب التراب
كأن دلويها جناحاً غراب

الباب العشرون

فى نيل مصر ومنتزهااتها نظاما ونثرا

قال الشيخ شهاب الدين أبى حجلة فى كتابه السكردان ذكر المهودى فى تفسيره عن عبد الله بن عمر رضى الله عنهما أن الله تعالى سخر للنيل كل نهر على وجه الأرض وذلك له فإذا أراد الله تعالى أن يجرى نيل مصر أمر كل نهر أن يمدّه فإذا انتهى جريه إلى ما قدره الله أمر كل نهر أن يرجع إلى عنصره ومصداق ذلك أن النيل مخالف لكل نهر على وجه الأرض فإنه يزيد إذا نقصت وينقص إذا زادت، وفى أصل النيل أقوال فذهب بعضهم إلى أن مجراه من جبال الثلج وهى بجبل قاف وأن يخترق البحر الأخضر المالح بقدرة الله تعالى وبمر على معادن الذهب والياقوت والزم فيسير ما شاء الله تعالى إلى أن يأتى بحبرة الزنج. قال الحاكى لهذا القول ولولا ذلك يعنى دخوله فى البحر المالح وما يختلط به منه لما كان يستطيع أ يشرب منه لشدة حلاوته.

وقال قوم مبدؤه من خلف خط الاستوا بإحدى عشرة درجة، وقال قوم من جبل القمر وأه ينبع من اثنتى عشرة عينا وكان فرعون يجبى خراج مصر فى كل سنة ألف ألف دينار فيأخذ الربع من ذلك لنفسه وأهل بيته وبيت ماله والربع الثانى لوزرائه وأمرائه وكتابه وأجناده، ويدخر الربع الثالث للمصالح ويصرف الربع الرابع فى حفر الخللجان وسد الترع وعمل الجسور ومصالح الأرض، فإذا كمل التخضير فى كل سنة نفذ مع قائدين من قواده أردبين من القمح فيذهب أحدهما لى أعلى مصر والآخر إلى أسفلها فيتأمل القائد أرض كل ناحية، فإن وجد موضعا باثرا كتب إلى فرعون بذلك وأعلمه باسم العامل على تلك الجهة فيأمر فرعون بضرب عنق ذلك العامل وأخذ ماله

وولده، فرمبا عاد القائدان ولم يجد أحدهما موضعا لبذر ذلك الأردب لتكامل العمارة واستظهار الزرع وجباها عمرو بن العاص اثني عشر ألف ألف دينار وكان ذلك أول دخوله إياها والكلام على ذلك يطول.

وقال القاضي زين الدين بن العجمي ملغزا في النيل سألتك أعزك الله عن سائى لاحظ له فى الصدقة ولم يكن متصل النسب بالأشراف كثير الرجفان من غير ارتجاف كم رد سائله نهرا وعفر وجه فاقده بالتراب قسرا مذكر كثير الخيض لطيف الانبساط سريع الغيظ يتشعب ويتكسر وله خمسون عينا وأكثر يحمل القناطير المقنطرة ويعجز عن حمل إيره سريع الاستحالة قلما يثبت على حاله بعيد الغوص ليس له قرار يعاجل صفاء وداده بالإكدار يسكن فى تخوم الغبراء وينم على أحوال السماء رقيق القلب على كل عديم وكيف لا وهو الولي الحميم وجود بأفخر الحلى ولا يرد من نداء مؤملا كم عمر سيلا وقطع طريقا وأخاف سيلا وطغا واحترق وأظهر الحقائق وهو كثير الملقوكم علا درجا وخط قدر الدقائق وقلع بأصابعه عين كل مارق، وكم طهر أمما من أرجاسها وأماط عن أرض ردىء أدناسها، وكم درأ عن شيخ خبيثا ورفع كهلا وحدثا يجلو الصدا ويظهر على شدة البرد تجلدا. كم أباح مجرما للعباد وأكثر الفساد فى البلاد وكم رأينا شموسا تجرى لسمتقرها فيه وتجنح وتلوح فى فلكه وتسبح جمع فيه الخوف والرجاء والكدر والصفاء. ومن العجب أنه كافر وكم أعان على العبادة أهل الصلاح وأضاف نزيله بالميتة ولم يخش فى ذلك من جناح فسبحان من جمع فيه بين الأضداد وأرسله رحمة للعباد بمنه وكرمه.

وقال أبو الفضل أحمد بن محمد الخازن ملغزا فيه:

وخل صفاء زرتة بعد هجمعه فألفيت شخصى فى حشاه مصورا
وأودعته سرا فأفشاه للورى فىا حسن ما أفشى العداة وأظهرا

أبوه حليف للثريا وأمه به حامل في بطن منخفض الشرى
سطيح له جسم بغير جوارح يبارى الرياح الجاريات إذا جرى
تدور عليه لريح ثوبا مفركا وتكسوه شهب الليل ثوبا مدثرا

وقال أبو الحسن الباخري ملغزا به أيضاً:

لا أحاجي في زمرة الفضلاء غير خل خصصته بإخاء
في شبيهه البلور رد إلى الماء وقد كان قبل عين الماء
ينذر الحر بالهزيمة بردا فهو المنذر بن ماء السماء

وأجاد الشيخ علاء الدين الوداعي بقوله:

رو بمصر وبسكانها شوقي وجدد عهدي الخالي
وصف لي القسوط وشنف به سمعي وما العاطل كالحالي
وارو لنا يا سعد عن نيلها حديث صفوان بن عسال

وقال إبراهيم المعمار:

سمعت يوماً سد مصر يقل النيل وافى زائرا عندي
وكان هذا خبيراً صادقاً ورحلت أرويه عن المدى

وأجاد الشيخ زين الدين الوردى بقوله:

ديار مصر هي الدنيا وساكنها هم الأنام فقابلها بتفضيل
يا من يباهى ببغداد ودجلتها مصر مقدمة والشرح للنيل

وتلطف من قال:

إن مصرًا لأطيب الأرض عندي
ولئن قستها بأرض سواها
وألطف منه :

أرى أهل الشام يفاخرونا
وكيف يفاخروا بالشام مصرًا
وتلك وقاحة فيهم وخصلة
وشهوة كل من في الشام نخلة

وقال الشيخ برهان الدين القيراطي :

لنيل مصر كمال في زيادته
إذا بدت لك من تياره شميم
وفضله غير مخفى ومكتم
رأيتَه طاهر الأوصاف والشميم

القاضي شهاب الدين بن فضل الله :

لمص فضل باهر
في كل يوم يلتسقي
في عيشها الرغد النضر
ماء الحياة والخضر

الشيخ شمس الدين بن الصائغ :

أرض بمصر فتلك أرض
ونيلها العذب ذاك بحر
من كل فن لها فنون
ما نظرت مثله العيون

وأجاد صلاح الدين الصفدي :

لم لا أهيم بمصر
ومأثرى العين أحلى
وأرتضيها وأعشق
من مأثرها أن تملق

ابن أبي حجلة :

نشروا القلوع وبشروا بوفائه فالراية البيضاء عليه بالوفا

الشيخ بدر الدين صاحب مضمنا وأجاد:

لله يوم الوفا والناس قد جمعوا كالروض تطفوا على نهر أزاهره
وللوفاء عمود من أصابعه مخلق تملأ الدنيا بشائره

وقال نصير الدين الحمامي وأجاد أيضاً:

رأيت فتى يقول بشط مصر على درج بدت والبعض غارق
إذا غطى لنا الدرج استقمنا فقلت نعم وتنصلح الدقائق

وقال آخر:

ماذا يفيد المعنى من الجسوى المتتابع
بمصر ذات الأيادي ونيها ذى الأصابع

ابن نباتة:

رقت أصابع نيلينا وطفت وطافت في البلاد
وأنت بكل مسرة ما ذى أصابع ذى أيادي

النصير الحمامي:

النيل قال وقوله إذ قال ملء مسامعي
في غيظ من طلب العلا عم البلاد منافعى
وعيونهم بعد الوفا قلعتها بأصابعى

غيره:

مولاي إن البحر لما زرته
فانظر لبسطه برؤيتك التي
أرخی عليه الستر لما جئته
إبراهيم المعمار:

قد زاد بحر النيل بعد الوفا
وأمرض الخزان فانظر وجهه
وقال أيضاً:

حزن الخزان لما أن رأى
ورأى الزرع عروقا أخرجت
وبكى إذ رمدت مقلته
وله أيضاً:

جاء الرخاء ووفى النيل وانفرجت
وراح خزانه للنيل ينظره
الصفدي:

قالوا علانيل مصر في زيادته
فقلت هذا عجيب في بلادكم

السراج الوراق في شتيه الهرمين:

ها شايد الهرمين نبت سفحها
أم خالها حسناء تجلى فانثنى

حياك وهو أخو الوفا بالإصبع
هي مشتهاه وروضه المتمتع
خجلا ومد تضرعا بالإصبع

منه أصبعين لا أصابت ذاك عين
من سقمه كيف غدا على أصبعين

نيلنا قد عم سهلا وجبل
سنبلات ذات حب فاختبل
زاده الله عروقا وسبل

عنا الهموم وهان القمح ثم رمى
فاستكثر الماء في عينيه ثم عمى

حتى لقد بلغ الأهرام حين طما
أن ابن ستة عشر يبلغ الهرما

خوف اهتزاز الأرض من خيالها
نهدين فوق ترائب الحسناء

شهاب الدين بن أبي حجلة:

يا رب إن النيل زاد زيادة
ما ضره لو جا على عادته
دت إلى هدم وفرط تشنتت
فى دفعه أو كان يدفع بالتى

شديد الدين بن كاتب المرج:

يا نيل يا ملك الأنهار قد شربت
وقد دخلت القرى تبغى منافعها
منك البرايا شرابا طيبا وغذا
فعمها بعد فرط النفع منك أذى
فقال تذكر عنى أننى ملك
وتثنى ناسيا أن الملوك إذا

الشيخ تقي الدين بن حجة فسح الله فى أجله:

أيا ملكا بالله صار مؤيدا
كسرت بمسرى نيل مصر وتنقضى
ومنتصبا فى ملكه نصب تمييز
وحقك بعد الكسر أيام نيروز

النصير الحمامى وقد أبطأ وفاء النيل:

إن عجل النيروز قبل الوفا
فقد كفى من دمعهم ما جرى
عجل للعالم صفع القفا
وما جرى من نيلهم ما كفى

ابن مماتى:

ولقد عهدت البحر سنيا يرى
واليوم أضحى فى الورى متشيعا
عمرا ويتبع رأيه تسديدا
متوقفا ما أن يحب يزيدا

الشيخ بدر الدين بن الصاحب وقد انتقل النيل إلى بر الجيزة:

يا أيها السلطان إن النيل عن
فاحفظ لنا جريانه وجواره
مصر تنقل بعد طول جوار
فالله قد أوصى بحفظ الجار

وللشيخ بدر الدين بن الصاحب أيضاً:

كانت لمصر مزية بالنيل منذ ولى خلت
كأنه زوج لها فبعده ترملت

الشيخ بدر الدين البشكى:

تعلم هذا النيل من خلقى الوفا وسكان مصر لهف قلبى على مصر
حكته دموعى حمرة وزيادة كما قد حكانى فى احتراق وفى كسر
وله يمدح بعض الرؤساء:

وقاس الورى بالنيل نائلك الذى حلا وصفا والنيل يبدو مرونقا
فقلت ومن يتقاس من خلقه الوفا بمن بالوفا فى العام يوما تخلقا

ابن الفقعى فيه وأجاد:

ليهن أحبابى نيل وفى ومفرد وافى به مؤذنا
ما النيل إلا أدمعى بعدكم كلا ولا المفرد إلا أنا

وما أطف قول المعمار:

قلت له لما وفى منوعدى مختفيا من حاسد معتدى
رب كما فرحتى بالوفا أسبل عليه الستر يا سيدى

وقال آخر:

وليلة عاش سرورى بها ومات من يحسدنا بالكمد
بت مع المعشوق فى روضة وبات من يرقبنا بالرمد

وقال القيراطى :

رشق الصب بالسهم رشيق
هو فى مصر روضة ومحيا
وتلطف الصفدى :

قل للرقيب استرح من رصدى
وارتد قلبى عن سيوف لحظه
ابن الصائع الحنفى :

وليلة مرت لنا حلوة
لا يبلغ الواصف فى وصفها
بت مع المعشوق فى روضة
وقال القيراطى :

زريبة أضحى لها المنتهى
وهى لمن حل بها روضة
وأجاد من قال :

بدا الشعر فى الخد الذى كان مشتهى
وقد كانت الوجنات بالأمس روضة
يبين للمعشوق حالى وما يخفى
من الورد وهى الآن موردة الخلفا

وما أحسن ما قال الشيخ برهان الدين القيراطى فى زيادة النيل نثرا :
وأما النيل فإنه زاد نيله وتراكم سيله ولازم المعشوق ملازمة العاشق
وقطع الطريق بكثرة مياهه وكاد يصل بارتفاعها إلى الطارق وتشبك بالخمس

أصابه وأغار على ما هنالك من الضياع الثلاث والعدوية رابعة وتوجه إلى مصر فعم جهاتها وما خصص وأقام بدار النحاس ورضص وعقدت خيامه بأذيال الجبال الطنب وغسل بمائه جاره الجنب، وأذاق الشجر الأخضر من محمر مائه الموت الأحمر.

وقال الشيخ جمال الدين بن نباتة لا زالت مبشرة المنازل بكل مبهجه معطرة الأرجاء بكل سائرة أرجه ميسرة الأوقات لمقدمتى سماع وعيان كلاهما لمسار منتجه مستحضرة فى معانى الكرم بكل دقيقة تشهد حتى بسطة النيل إنها أرفع درجة وينهى بعد ثناء ما الروض بأعطر من شذاه ولا ماء النيل وإكرم وفاء بأوفى من جدواه وفاء النيل المبارك وحبذا من وفى موافى ومتغير المجرى وعيش البلاد به العيش الصافى ووارد يرد من بعد بعيد وجميل لا جرم أن مده ثابت ويزيد وجامد إذا تدافع حيث تياره يقلد بره ودره من الأرض على كل جيد وجائى إذا ذكر للخصب فى مكان عيده المشهود ألقى السمع وهو شهيد فالبلاد جبرت بكسر خليجه واستقامت أحوالها بتعريجه وأثنت عليه بآلائه وسمت لونه الأصهب على رغم الصهباء بأحسن أسمائه وجعلت ماؤه قاهرا لهضبة كل سد ولم تسلطها على مائه وخلق فمئت الدنيا بشائر مخلقة وعلق سترهخ فزكا لونه التبرى على معلقة وحدث عن البحر ولا حرج وانعرج على البقاع فلذلك يلوى معصمه فله أوقات اللوى والمنعرج وستقرت الرعايا آمنين آمليين وقطع دابر الجذب حتى ظلمه فى هذه الدولة القاهرة وقل الحمد لله رب رب العالمين والله تعالى يملأ له بالمسرات صدرا ويضع بعدله عن الرعية إصرا ويسرهم فى أيامه بكل وارد يقول الإحسان لمتحملة لو شئت لتخذت عليه أجرا.

وقال الشيخ تقي الدين بن حجة فسح الله في أجله ويدي لعلمه الكريم ظهور راية النيل الذي عاملنا الله فيه بالحسنى وزيادة وأجراه لنا في طرق الوفاء على أجمل عادة وخلق أصابعه ليزول الإبهام فأعلن المسلمون بالشهادة كسر بمسرى فأمسى كل قلب بهذا الكسر مجبورا وأتبعناه بنيروزه وما برح هذا الاسم بالسعد المؤيدى منصورا دق قفا السودان فالراية البيضاء من كل قلع عليه وقبل ثغور الإسلام وأرشفها ريقه الحلو فمالت بأعطاف غصونها إليه وشبب خريره فى الصعيد بأقصب، ومد سبائكك الذهبية إلى جزيرة الذهب فضرب الناصرية واتصل بأم دينار وقلنا إنه صبغ بفوه لما جاء وعليه ذلك الاحمرار وأطال الله عمر زيادته فتردد إلى الآثار وحضن مشتهى الروضة فى صدره وحتى عليه حنو المرضعات على الفطيم وأوشفه على ظما زلالا ألد من المدامة للنديم وراق مديد بحره لما انتظمت عليه تلك الأبيات وسقى الأرض سلافته الخمرية فخدمته بحلو النبات وأدخله إلى جنات النبت وأحيا له أمهات العصف والأب وصافحته كفوف الموز فختمها بخواتيمه العقيقية ولبس الورد تشريفة وقال أرجو أن تكون شوكتى فى أيامه قوية.

ونسى الزهر بحلاوة لقائه مرارة السنوى وهامت به الشقواء فأرخت صفائر فروعها عليه من شدة الهوا واستوفت الأشجار ما كان لها فى ذمة الرى من الديون ومازج الحوامض بحلاوته فهام الناس بالسكر والليمون وانجذب إليه الكبار وامتد ولكن قوى قوسه لما حظى منه بنصيب سهم لا يرد وليس شربوش الأترج وترفع إلى أن لبس بعده التاج وفتح منشور الأرض بعلامته بسعة الرزق وقد نفذ أمره وراج فتناول مقالم الشنبر وعلم بأقلامها ورسم لمحبوس كل سد بالإفراج وسرح بطائق السفن فخفقت أجنحتها بمخلق بشائره وأشار بأصابعه إلى قتل المخل غباد الخصب لامثال أوامره وحظى بالمعشوق ونال من كل أنية مناه فلا سكن فى البحر إلا تحرك ساكنه للمطالعة

بعد ما تفقه وأتقن باب المياه ومد شفاه أمواجه إلى تقبيل فم الحرر وزاد مترعه فاستحلى المصريون زائده على الفور ونزل في بركة الحبش فدخل التكرور في طاعته وحمل على الجهات البحرية فكسر المنصورة وعلا على الطويلة بشهامته وأظهر في مسجد الخضر عين الحياة فأقر الله عينه وصار أهل دمياط في برزخ بين المالح وبينه وطلب المالح رده بالصدر وطعن في حلاوة شمائله فما شعر إلا وقد ركب عليه ونزل في ساحله .

وأما المحاسن فدارات دوائره على وجنات الأرض عاطفه وثقلت أردافه على خصور الجوارى فاضطربت كالحائفة ومال شيق النخيل إليه فلثم ثغر طلعتة وقتل سالفه وأمست سود السفن كالحيات في حمرة وجناته وكلما زاد زاد الله في حسناته فلا فقير سد إلا حصل له منفيض نعمائه فتوح ولا ميت خليج إلا عاش به ودبت فيه الروح ولكنه احمرت عيونه على الناس بزيادة وترفع .

فقال له المقياس عندي قبالة كل عين أصبع فنشر أعلام قلوبه وحمل وله من ذلك الحرير زمجره ورام أن يهجم على غير بلاده فبادر إليه عزمنا المؤيدى وكسره وقد آثرنا الجنان بهذه البشرية التي قد عم فضلها بحرا وبرأ وحدثناه عن البحر ولا حرج وشرحنا له حالا وصدرا ليأخذ حظه من هذه البشارة البحرية بالزيادة الوافرة وينشق من طيبها نشرا فقد حملت له من طبيات ذلك التنسيم أنفاسا عاطرة والله تعالى يوصل بشائرتنا الشريفة لسمعه الكريم ليصير بها في كل وقت مشفا ولا برح من نيلنا المبارك وإنعامنا الشريف على كلا الحالين في وفا .

وللشيخ تقي الدين أيضاً جواب عن وفاء النيل وكتب به عن كافل المملكة الشريفة الحموية عقيب رحيل اللنك عن البلاد الشامية وحريقها، وينهى ورود البشرى بوفاء النيل المبارك الذى ما زاد إلا واستحلى الناس زائده

وانسى بزيادة كرمه ابن زائدة، وكانت زيادته صلة للبلاد الإسلامية فلا برحت هذه الصلة في كل عام على المسلمين عائدة، وامتد بحره المديد فأزال زحاف المحل واتصلت بتلك المقاطعات دوائره وعمت بشائره الممالك وكيف لا وللوفاء عمود من أصابعه مخلوق تمل الدنيا بشائره، وأزال خطب الغلاء لما صعد خطيب وفائه على أعلى الدرج وأمسى الناس بهذا الوفاء وبقاء سلطانهم على كلا الحالين في فرج وطارت سواجع بشائره في الأوراق مبشرة باخضرار العيش وشباب الدهر واتصل سجعها المطرب بأكناف الفرات وما وراء النهر وخر عاصى حماة طائعا ولا عاص إلا لهذه الدولة القاهرة مطيع .

ووردت هذه البشرى في صفر المبارك فاستبشر الناس بربيع فيا له من صديق ما برحت الناس شاكرة حسن وفائه ولا دخل عروس أرض عاطلة إلا حلاها بأقراطه وخلاخل مائه ويا له من صالح ما مر على يابس من الأرض إلا أخضر وأتار فإنه مستمسك من النبي ﷺ بالآثار لقد كادت البلاد الشامية أن تطير فرحة لولا أن قص الحريق جناحها وأفسدت الغلوة بعد الحريق صلاحها وفي البلاد وطفف ولا يقال له ويل للمطففين .

وقالت له البلاد المقحطة من الشام أوف لنا الكيل وتصدق علينا إن الله يجزى المتصدقين والمرجو من كرم الله تعالى أن يصلها ببره وبره ويبل ثغورها الناشفة من ريق الغيث ولو بقطرة من بحره لأنه الطوفان الذي يتلقاه الناس بالقبول لعلمها أنها فيه من الآمين وسلام على نوح في العالمين والله تعالى يجعل بشائر هذه الدولة الشريفة متصلة وضدها في قسر ولا برح عدوها ونيلها على ممر السنين في كسر انتهى رجع إلى النظم . قال تاج الملك :

ظهـرت به آيات ربي
دمعى وفى الخفقان قلبى

انظر إلى النيل الذى
فكأنه فى فيضه
وقال غيره:

وسرعة جرية عند انصرافى
بماء الورد مضروب مداف

كان النيل فى التكدير عيشى
ولكن لونه كسحيق مسك
وقال آخر:

اضحك وجه الأرض لما بكى
كأنما صندل أو مسكا

اشرب على غيم كصبح الدجى
وانظر للون النيل فى مده
غيره:

كأنه ذائب الزجاج
كلل من فوقه بعجاج

انظر إلى النيل كيف يجرى
تخاله أرض أبنوس
كشاجم الكاتب:

به مصر وكسرت التراع
سموات كواكبها الضياع

كان النيل حين جرى تفصت
وأحرق بالقرى من كل وجه

الشيخ شمس الدين بن الصائغ :

سما النيل إذ يحكى السما فى انبساطه
تسير به الأفلاك شرقا ومغربا
فله ما أحلى وأصدقه حاكى
وحافاته أيضاً تحف بأملك

وركب الأمير تميم فى النيل متنزها فمر ببعض الطاقات المشرفة فسمع
جارية تنشد شعرا :

فرعى الله أرض مصر وحييا
حبذا النيل والمراكب فيه
هات زدى من الحديث عن النية
وليال بها الجزيرة والجيد
بين روض حكى ظهور الطواويس
حيث مجرى الخليج كالحية الرقشاء
ونديم كما تحب ظريف
كل شىء أردته فهو فيه
يا زمانى الذى مضى يا زمانى
لذاتك منى تواتر الزفرات
لذاتك منى تواتر الزفرات
لذاتك منى تواتر الزفرات
لذاتك منى تواتر الزفرات

موشح للقاضى فخر الدين بن مكانس :

أنعم صباحا فى ظلال السعد
ولا تبع عاجله بنقعد
واركب إلى الهزل جواد الجدد
وخل نعت بازى وفهد

واستجلب الأنس بطرد الطرد

خذ من خلاعاتي الكلام المعجبا فلم أزل عذيقها المرجبا
خل الطبيب واسأل المجربا إن الخلاعات طراز الأدبا

وإننى فيها نسيج وحدى

باكر إلى جزيرة الفيل التي تختال في أفنانها كالجن
ولا تمل عن وجهها لوجهة صف حسنها لمائها والخضرة

وقف بشاطيها ولا تعدى

واجلس من المنية جنب الشاطى فى فرش الروض على بساط
فهى من التدبيج فى أمراط عروسة تحتال بالأقراط

ومن لآلى نورها فى عقد

والتاج يعلو فوق هام الزهر والسبعة الوجوه ذات البشر
وكل برج حولها كقصر فى كل برج تم كل بدر

يحل منها كل برج سعدى

أوعجج على شبرا محل لاراح واعجب من الغبوق والصبح
إذ كاسها يغنى عن المصبح واعقد لبنت الكرم والأفراح

على نمير النيل أهنى عقد

وارم نثار الحبيب النفيس على زفاف بكرها العروس
وقر بالشمسى عين إبليس واستهدى الخمر من القسوس
واشرب سلافا نقدها بالنقد

وانظر إلى أنوار بئر البلسم فهى سبيل صحتى من سقى
لكونها فيما يقال تنمى إلى المسيح السيد ابن مريم

محيى بإذن الله ميت اللحد

بئر لها التعظيم والجلالة بدر أنارت واستنارت هالة
أتمودج الفردوس لا محالة فيها على الجنة أى دلالة

تذكر الناس نعيم الخلد

أدواحها مخضلة غنى بها على الغصون بلبل غنى بها
إذ سمع المطرب من ربابها والنبت فى رياضه ربابها

من كل زوج بهج وفرد

واشرب على بحر أبى المنجا فهو المأسور الهموم منجا
ذو أرج به السرور يرجى فششعب بوان لدى يهجي

من حسنه وسغد سمرقند

وانزل على اليمن من القناطر بستان ملك الأمر أبهادر
المنجكى الملكى الظاهر كهف العلا ممهد العساكر

من حين كان مرضعا فى المهدي

فذاك قد زرعتَه بنفسى وكل ما فيه الجميع غرسى
مرتع غزلانى وقصر أنسى سرا فكالعروس بعل العرس

فلا يقاس طينه بالنند

به اشلققيق تاه ثانى برده وخاله الأسود فوق خده
رييته كوالد فى ولده وعمه مالكه بسعده

فهو كريم الأب على الجد

يميس زهوا فى رياض الملبس ما بين ورد ناضر ونرجس
والأس يعلو فى سماء السندس يسترق السمع بإذنى فرس

لذاك تنقض نجوم الورد

لم أنس بزرتى بمرج عنبر ومقطع الرمل رضيع الكوثر
ذى النور والظير معا والجؤذر مع كل بدر للسرور مشتري

يقول هذا اليوم يوم سعدى

وفتية أحبة أعزه تصرع ما يصرعنا فى البرزه
مقدمات من مدام مزه لا صرع كركى ولا أوزه

وخفق مزهر ولعب ونرد

أوتارنا لرمينا يا صاح أوتار عيدان الغنا الفصاح
والقوس قوس حاجب الملاح والبنديق المسكى من التفاح

لست بخصم للألد اللد

حيا الرواويق بحى من صفا أولئك الأشباح إخوان الصفا
بين ربوع وغانان تصطفى حسبى لقاتلك المغانى وكفى

معاهد ألهمت فيها رشدى

وأجل بها قديمة العهود تخبر عن عاد وعن ثمود
صافية كمقلة الفريد أرق من دمع شج عميد

عذبه حبيبه بالصد

ما أصطح الشيخ بها وطابا إلا اشتهى من وقته الشبابا
فقل لمن نقصها وعابا لقد عدت الذوق والصوابا

وقد عريت عن ثياب المجد

فيا فبيا ليس يدرى سرها دعه لنا فما عرفت قدرها
واستفتنى فيها لأبدى أمرها فقد بلوت حلوها ومرها

وهو على الخالين حلو عندى

فمرها كالمسك حشو الفلفل والزنجبيل ديف بالقرنفل
وحلوها على الندامى ينجلي كالشهد ممزوجا بماء السلسل

ذاك الذى أمسى حبيب كبدى

فليس من نرجوه للصلاح إلا فتى عاص عن النصاح
لم يخل وقتا سمعه من لاح ولم تعطل راحة من راح

إن أعوز الصفو يكون دردى

تخال إذ تطلع نحو الجوسق فى بركة الحبش أوان الملق
للبحر يمشى والنجوم ترتقى أبيض سام قدره كالأبلق

مجموع حسن يزدهى بالفرد

الم يرق منظر ك البـرـيـم إذ سار بدر نحووه وريم
واخضر خد الجيزة الرقيم ووجهها بين الربا وسيم

موشح من نجمه فى برد

كم غادة فيها بقلبي ولعت من بدويات العريب أبدعت
سافرة بالحسن قد تبرقت لم أنسها وقولها إذ ودعت

كيف تكون بعدنا يا بعدى

فقلت قبل البين كبدى انفطر وعبرتى بها البرايا اعتبرت
فانسكبت دموعها وابتدرت فخلتـهن لؤلؤات نثرت

فى جلنار أو ندى فى ورد

ازجها معرق كالنون ولحظها فاق عيون العين
سعى إليها مذهبي ودينى وذاك عندى من فروض العين

وللفروض أى حفظ عهد

تقول لحظى من بنى سنان ينيك عنمقاتل الفرسان
قاله به عن موقف الطعان وإن ذكرت الخيل فى الميدان

فاشرب كميتا واعل فوق نهدي

من قدها وريقها الشمول أهيم بالعسال والمعسول
وجفنها الغزال في الذبول واحربا من سيفه الصقيل

جاوز في قتلى كل حد

وشادن كالسمهري تركى عذبنى ميسا بغير شك
يعطو أريحا كغزال المسك آس عذاريه أبادنسكى

وجلنار الخد جل قصدى

بدر دجى هالته شربوشه بعارض تذهيبه تدهيشه
راقمه صحت له نقوشه يبرى عظامى كلما يريشه

وردفه الجافى يابى رقدى

جبينه بالثببت كالهلال وفرقه فيه الخلاف العالى
أضواء برق أم سنا لآلى ولحظه مظنة الأشكال

هل هو تركى والا هندى

اسمر إن عاين غصن البان قال استقم فأنت ذو ألوان
ينبيك فى النقع الوسيم ألوانى وليس لى فى قامتى من ثانى

فلا تقايسنى فلست قدى

من ثغره الخلو للما ولريق ولحظه المرتق المعششوق
التذبالسكر والترنيق ولا تسل عن خصره الدقيق

قد حل صبرى منه عقد البند

كم قلت إذ بالغ في أطراحي يا ربربا يفتتر عن أقاحي
ويكشف اللثام عن مصباح ويمزج الراح لنا بالراح

من ريقه دام الهنا بالشهد

خليع عشقى فى الهوى جددته بسهم لحظ راشق سددته
وخدى المظلوم قد خددته بسائل الدمع الذى رددته

نهر جرى أخذوده بخدى

يا قمرا من ريقه البرود وحمرة التضريح فى الحدود
اشتاق فى الحالين للورود أمنن بوعدى واطرح وعيدى

وقل من هذا الجفا والصددا

أملى عليك يا منى أمالى قول الشجى لا أمال القالى
بأننى أصبحت كالخيال والروح فى جسمى النحيل البالى

مثل الأثير موثقا بالقد

فإن تصلنى فأنا السعيد أومت قيل إننى شهيد
إن طلبوا ثارى ولم تجودوا قل أنا حر بالغ رشيد

وابن مكانس القتل عدى

فإن قومى يعرفون ذا كا وابنى رعاه ربه يرعاكا
وإخوتى لو عاينوا الهلاك كانوا له من الرد أفداكا

يرعون فىك ذمتى وعهدى

فارم من اللحظ ولا تبالي عن قوس حاجبيك بالنبال
فأنت عندي متهى أمالى فاقتل عزيز القوم بالدلال

وكل قتال خلاف الصد

فالحر لا يقتل بالملوك فأنت فى حل بلا تشكيك
يا قاتلى من دمي المسفوك ومن تلاف جسمى المنهوك

فلا تخف من أن تدى أو تفدى

وعاذل قد جاءنى مفندا بلغنى رسالة عن العدا
يغى بها للعاشقين الرشدا ولست من يقبل عدلا أبدا

فقلت مه واقنع بهذا الرد

إنى بعثت للعدا رسولى أخبرهم أن العدا رسولى
ما أنت والتفنيذ يا فضولى فقال أذنبت وليس قولى

فقلت تودى القلب أو تؤدى

إنى أهيم بالنسا كالحور والمرد والمعذر الطرير
والأسود اللحية والزرورى والشيخ رب العارض الكافورى

والحمد لله ولى الحمد

الباب الحادى والعشرون

فى مفترجات بقية البلدان على اختلاف أنواعها

اجمع جواب أقطار الأرض على أن منتزهات الدنيا أربعة سغد سمرقند وشعب بوان ونهر الأبله و غوطة دمشق .

قال أبو بكر الخوارزمى قد رأيتها كلها فكان فضل الغوطة على الثلاث كفضل الأربع على غيرهن كأنها الجنة صورت على وجه الأرض .
فأما السغد فهو نهر تحف به قصور وبساتين وقرى مشبكة العمائر ما مقداره اثنا عشر فرسخا فى مثلها .

وأما الشعب فبقعة من نواحي كورة سابور مقدارها فرسخان قد تحفتها الأشجار ظلالها وجاست الأنهار خلالها وهو لبوان بن برخ بن أفريدون وفيه يقول المتنبي :
مغانى الشعب طيبا فى المغانى بمنزلة الربيع من الزمان
وهى قصيدة طويلة .

وأما نهر الأبله فهو من أعمال البصرة وطوله أربعة فراسخ وعلى جانبه بساتين كأنها بستان واحد قد وضع على خط مستقيم وكأن أشجاره غرست فى يوم واحد .

وأما الغوطة فهى من حيز دمشق وطولها مقدار ثلاثي ميلا وعرضها خمسة عشر ميلا مشبكة القرى والضيايح لا يكاد أن يقع للشمس على أرضها شعاع لالتفاف أشجارها واكتفاف أنهارها وللشعراء فى وصفها قصائد كثيرة أضربت عن ذكرها خوف الإطالة .

روى عن كعب الأخبار أنه قال غوطة دمشق بستان الله فى أرضه .

قال الشيخ بدر الدين محمد الدمامينى عند دخوله إليها فتأملها المملوك فإذا هى جنة ذات ربوة وقرار معين وبلدة تبعث محاسنها الفكر على حسن

الوصف وتعين وحسبك بالجامع الفارق بينها وبين ما سواها والأنهار التي إذا ذكر قبل المحل فما أجزاها وإذا سمع حديث الخصب فما أرواها وما أقول إلا منتزهات مصر عارية من المحاسن وهذه ذات الكسوة ولا أن النيل احترق إلا من الأسف حيث لم يسعه الدهر بالصعود إلى تلك الربوة ولا أظنه احمر إلا خجلا من صفاء أنهارها ولا ناله الكسر إلا لتألمه بالانقطاع عن الوصول إلى سقى أزهارها ولو رأى العاشق جهتها لسلا بمصر معشوقه ونسى ظهور جواريه المنحنية بقامات غصونها المشوقة ولو تناولت المجنونة إلى المفاخرة لتأخرت إلى خلفها متخيلة وأحجمت عن الإقدام حيث تحركت لها بدمشق السلسلة وحق لمصر أن لا تجرى حديث المفاخرة في وهمها وإن تتقى شر المنازعة قبل أن يصاب من تلك البلدة بسهمها فسقى الله منتزهاتها التي طرب المملوك برؤية جنكها وطالما اهتزت له المعاطف عى السماع ورأى بها كل نهر ذاب عنه الجلد فانهقد على حلاوة سكره الإجماع ترزع حصاه حالية العذار فيلمس جانب العقد النظيم وأحسن الشيخ برهان الدين القيراطى من قصيدة:

اشتاق في وادى دمشق معهدا	كل الجمال إلى حماه ينسب
ما فيه إلا روضة أو جوسق	أو جدول أو بلبل أو ربرب
وكأن ذاك النهر فيه معصم	بيد النسيم منقش ومكتب
وإذا تكسر ماؤه أبصرته	فى الحال بين رياضه يتشعب
وشدت على العيدان ورق أطربت	بغنائها من غاب عنه المطرب
فالورق تشدو والنسيم مشيب	والنهر يسقى والحدائق تشرب
وحلت بقلبي من أعالي جنة	فيها لأرباب الخلاعة ملعب
ولكم طربت على السماع بجنكها	وغدا بربوتها اللسان يشيب
فمتى أزور معالم أبوابها	بسامحها كتب الكرام تبوب

ابن تميم:

رعى الله وادى النيرين فإننى
درى إني قد جئته متنزها
وأخدمنى الماء القراح فحيثما
علاء الدين الوداعى:

يا ربوة أطربتني
إذ لست أبرح فيها

أخذه ابن نباتة فقال:

بالجنك من مغنى دمشق حمائم
فإذا أشار له الشجى بكأسها
وتبعه الصلاح الصفدى فقال:

انهض إلى الربوة مستمتعا
فالطير قد غنى على عوده
ابن خطيب داريا وأجاد:

سألتكما إن جئتما الشام بكرة
قف واقراً منى كتابا كتبته
شيخ الشيوخ الأنصارى:

قالوا أما فى جلق نزهة
يا عاذلى دونك من لحظة
وعايتما الشقراء والغوطة الخضرا
بدمعى لكم مقرا ولا تنسيا سطرأ
تنسيك ما أنت به مفزى
سهما ومن عارضه سطرأ

الشيخ تقى الدين بن حجة فى غيضة ست الشام:

تقول ست الشام لما غازلت بعينها فأنعشت حياتى
وأنعشت بمرجها وأبرزت هذا حلالا لأنه نيباتى
واستجلنى عروسة يتيمة شامية وعش بلا حماة
القاضى علاء الدين بن غانم فى حماة:

حماة فى بهجتها جنة فهى من الهم لنا جنة
لا تياسوا من رحمة الله قد أبصرتم العاصى فى الجنة
بدر الدين حسن بن حبيب فى جزيرة حمص:

جزيرة حمص كعبة اللهو أصبحت يطوف بها دران ويسعى لها قاصى
ولكنها اللهو والقصف حانة ألم تنظروها كيف جاورها العاصى
الشيخ تقى الدين بن حجة معارضا له:

ذكرت أحببتي بالمرج يوما فقوت أدمعى نيران وهجى
وصرت أكابد الأحران وحدى وكل الناس فى هرج ومرج
وله فسخ الله فى مدته فى المرج وهو بالشام بظاهر سليمه:

مرج حماة نواعيسره زادت على المقياس فى روضته
واغتساظ غور دمشق لذا فقلت لا أفكر فى غيضته

ابن الوردى

عليك بصهوة الشهباء تكفى بجوشنها محاربة الزمان
فللغرفات فى الفردوس طيب يفوح شذاه من باب الجنان

الباب الثاني والعشرون في النسيم ولطافته

والنسيم هي الريح الطيبة ونسيم الريح أولها حين يقبل بلين قبل اشتدادها ومنه الحديث بعثت في نسيم الساعة، أي حين ابتدأت وأقبلت وما أحسن قول بعضهم نسيم الريح نسيب الروح والرياح المعروفة أربع الصبا وتسمى القبول وهي تنفس عن المكروب والجنوب وهي تجمع السحاب والشمال وهي تقصره وتفرقه والدبور وهي تهدم البنيان وتقلع الشجر وهي القاصف والصرصر وكل ما في القرآن من لفظ الريح فالمراد به الدبور ولازمها العقوبة وكل ما فيه من لفظ الرياح فهي راجعة إلى الثلاثة الأول ويراد بها الرحمة ومنه الحديث نصرت بالصبا وأهلكت عاد بالدبور وقيل الرياح ثمانية أربع في الجهات الأربع، وأربع تسمى النكباء لميلها ونكبتها عن الجهات الأربع، والشمال من ناحية الشام وذلك عن يمينك إذا استقبلت قبلة العراق فهبوبها من تحت بنات نعش، ويقابلها الجنوب والشمال باردة يابسة صافية من الكدر تشد الأعضاء وتسد المسام وتحصر الحرارة في الباطن فينهضم الغذاء ويصفو بها كدورة الروح الحيوانى الذى فى القلب من الأبخرة الدخانية وتديم الصحة وتقوى حواس الدماغ وذلك إذا وصلت إلى الجسم باعتدال وهي قليلة الهبوب ليلا وكان الصحاح بن عباد يترنم بقول أبى نواس:

هبّت لنا ریح شمالية متت إلى القلب بأسباب
أدت رسالات الهوا بيننا عرفتها من بين أصحابي

قلت والله الصحاح بن عباد لمعذور فإن هذا مما يريح الجماد وتجمع الشمال على شمائل ولذلك يحسن فيه التورية.

ومنه قول الشيخ تقى الدين بن حجة:

جاد النسيم على الربا بندى يديه وقسال لى
أنا ما أقصير عن ندى وكلمما علمت شمائلى

والصبا تهب من مطلع الشمس وتسمى القبل ويقابلها الدبور وهى معتدلة ولا سيما إن هبت قبل طلوع الشمس فى زمن الربيع وهى لطيفة صافية وتزكى الأذهان وتنفع الأبدان وتبسط الأخلاق لا سيما إن مرت بمروج الأزهار فإنها تحمل قواها إلى القلب والدماغ وإلى ذلك أشار الشاعر بقوله:

وصبا أتت من قاسيون فسكتت بهبوبها وصب الفؤاد البالى
خاضت مياه النيرين عشية وأنتك وهى بليلة الأذيال
وقال بدر الدين الزغارى:

سرت من بعيد الدار لى نسمة الصبا وقد أصبحت حسرى من السير ضالعه
ومن عرق مبلولة الجيب بالندى ومن تعب أنفاسها متتاعبه
الموصلى:

رب نسيم قد سرى يحدوا سحابا ممطرا
أذيله بليلة تخبرنا بما جرى

وقال مهيار الديلمى:

حملوا ريح الصبا من نشركم قبل أن تحمل شيحا وخزامى
وابعثوا لى فى الدجا طيفكم إن أذنتم لعيونى أن تناما

القاضى الفاضل:

يا لمعة البرق بل يا هبة الريح
خذي لهم من سلامي عنبر أعبقا
ناشدتك الله إلا كنت مخبرة
الصاحب بن بدر الدين:

أسكرتم ريح الصبا بالشذا
لا تعتبوها إذ أذاعت هوى
حتى أذاعت سرنا بالبطاح
فما على السكرى بهذا جناح
الشهاب الحاجبي:

لا تبعثوا غير الصبا بتحية
حفظت أحاديث الهوى وتضوعت
ما طاب في سمعي حديث سواها
نشرا فيا لله ما زكاها
الصفدي:

يا طيب نشر هب لي من أرضكم
أهدى تحيتكم وأشبهه لطفكم
فأثار كامن لوعتي وتهتكى
وروى شذاكم إن ذا نشر زكى
وقال ابن أبي حجلة في الصفدي:

إن ابن أبيك لم تزل سرقاته
نسب المعاني في النسيم لنفسه
تأتى بكل قبيحة وقبيح
جهلا فراح كلامه في الريح
وتلطف بعض العشاق:

ألا يا نسيم الريح مالك كلما
أظن سليمي خبرت بسقامنا
تدانيت منا زاد شرك طيبا
فأعطتك ياها فجئت طيبا

ابن نباتة:

يداوى أسي العشاق من نحو أرضكم
بروحى من ذاك النسيم إذا سرى

مؤلفه:

ولهفى لروض قد تكسر ماؤه
وأسمى نسيم الروض فى فرش الربا

السراج الوراق:

ويوم قبيظ أذاب جسمى
قد صخ موث النسيم فيه

ابن قرناص:

أظن نسيم الروض والزهر قد روى
وقال دنا فصل لربيع فكله

جمال الدين بن نباتة:

أهلا بسائرة الصبا نم نحوكم
أملت على الزهر المقطب ذكركم

الأمير درياس:

والنهر قد عشق الغصون فلم يزل
حتى إذا فطن النسيم فجاءها
وغدا عليه مهيمنا بعتابه

أبدا يمثل شخصها فى قلبه
عن غيرة فأمالها من قربه
سرا فجعد وجهه من عتبه

الشريف الناسخ:

شغف النهر بالفصون فأضحت مائلات في قلبه والصميم

وأنتها رسل النسيم فمالت . لحديث من بعد عهد قديم

ابن قرناص مفرد:

تننى الغصن أعراضا وعجبا على نهر يذوب أسى عليه

أيضاً:

وتجمع بينها من بعد بعد وأوراق الفصون لها إزار

وتخفق غيرة عند التلاقي فهل أبصرت قوادا يغار

وحكى أن نور الدين على بن سعيد الأندلسى صاحب المرقص والمطرب
خرج مع جماعة من الأدباء المصريين فى بعض المنتزهات وكان فيهم أبو
الحسين الجزار فمروا بمليح نائم تحت شجرة وقد هب النسيم وأزال أثوابه عن
بدنه وظهرت أعكانه وأردافه، فقال أبو الحسين الجزار قفوا لينظم كل منا فى
هذا شيئاً فما لبث أن قال ابن سعيد شعرا:

الريح أقود ما يكون لأنها تبدى خبايا الردف والأعكان

فلذلك العشاق يتخذونها رسلا إلى الأحباب والأوطان

قال أبو الحسين ما فى طاقة أحد منا أن يأتى بما قلت أو مثله، ثم مضوا

غيره:

أنا أهوى غصن النقا وهواه وفؤادى يحبه فى إليه

يا نسيم الضبا ترفق عليه وتلطف به ولا تؤذيه

وتحمل رسالة ليس إلا ك أمين فى حملها ارتضيه

وما أظف قول السراج الوراق وإن لم يكن مما نحن فيه :

قلت للأهيف الذى فضح الغص
قال قول الوشاة عندى ريح
من كلام الوشاة ما ينبغى لك
قلت أخشى يا غصن أن يستملك

وقال آخر :

لقد غرس القضيب على كثيب
ومال مع الوشاة ولا عجيب
فأينع بالمساء وبالصبح
لغصن أن يميل مع الرياح

الطغرائى :

بالله يا ريح إن مكنت ثانية
وراقنى غفلة منه لتتهرى
وباكرى ورد عذب من مقبله
وإقدرت على تشويش طرته
من صدغه فأقىمى فيه واسترى
لى فرصة وتعودى منه بالظفر
تقابل الطعم بين الطيب والخصر
فشوشيةا ولا تيقى ولا تدرى
بنفحة المسك بين الورد والصدر
واستصحى الطيب وأتىنى على قدر
على والليل فى شك من السحر
تفضى لبانة قلب عاقر الوطر

علاء الدين الجوينى :

لله مبيتنا بضوء القممر
إذ عرف بيننا نسيم سحر
والحب نديمنا وصوت الوتر
ما أبرد ما جاء نسيم السحر

العلامة بن حجة:

بالله يا برق إن أومضت فى السحر وحارس اللحظ فى شك من الخبر

قف بالثنيات واذكرنى إذا عذبت منبهلات عذيب الثغر فى السحر

وقال بعضهم:

أيا نفحة أهدت إلى تحمية ينم عليها العرف من أم سالم

مشت فى أراك الوادين فنبهت به كل نسوان المعاطف ناعم

وحكى الأصمعى: قال كانت امرأة من العرب تأتى بصبية لها كل يوم

قبل الصبح فتقف بهم على تل عال وتقول أى بنى خذوا صفو هذا النسيم

قبل أن تكدره الخلائق بأنفاسها.

وروى المرزبان بإسناده أن مجنون ليلى خرج مع أصحاب له ليمتاروا من

وادي القرى فمروا بجبلى نعمان فقالوا له إن هذين جبلا نعمان اللذان كانت

ليلى تنزلهما، قال فىأ ريح تهب من نحو أرضها إلى هذا المكان فقالوا الصبا

قال فوالله لا أبرح حتى تهب الصبا فأقام فى ناحية من الجبل ومضوا فامتاروا

لهم وله ثم أتوا فحبسهم حتى هبت الصبا فرحل معهم وفى ذلك يقول:

أيا جبلى نعمان بالله خليا نسيم الصبا يخلص إلى نسيما

أجد بردها أرتشف منى حرارتي على كبد لم يبق إلا صميمها

فإن الصبا ريح إذا ما تنسمت على نفس مهموم تجلت همومها

قيل كان لابن الجوزى زوجة تسمى نسيما الصبا وكان يحبها جدا شديداً

فاتفق أنه طلقها فحصل له قلق شديد وهيام وكاد يشرف به على التلف

فحضرت فى بعض الأيام مجلس وعظه فسر بها واستبشر فاتفق أن جاءت امرأتان وجلستا أمامه فحالتا بينه وبينها فأشد:

أيا جبلى نعمان بالله خليا نسيم الصبا يخلص إلى نسيما

فانظر إلى حسن هذه الاستعارة من الشيخ كيف كنى عن ثقلهما بالجبليين وألطف من ذلك ما ذكره الشيخ بدر الدين حسن بن زفر الأربلى المتطيب فى كتاب روضة الجليس ونزهة الأئيس عن بعض الرؤساء قال أخبرنى بعض الأصحاب قال كنت يوما جالسا عند صديق لى بالموصل إذ جاءه كتاب ن بغداد من صديق له فيه تشويق وعتاب من جملته بيت:

. تناسيتم العهد القديم كأننا على جبلى نعمان لم نتجمعا

فأخذ يستحسن هذا البيت ويهتز له فقلت له بالله عليك إلا ما صدقتنى بحبوتك هذه كنت تأتيا من وراء الدار قال أى والله ومن أين علمت ذلك؟ قال قلت من هذا البيت لأنها ذكرتك فيه بجبلى نعمان وجبلا نعمان كناية عند الظرفاء من الناس عن جانبى كفل المليحة والمليح، فقال والله ما أدركت من هذا البيت ما أدركته.

الباب الثالث والعشرون في غناء الجمائم وجمائم الرسائل

قال الشيخ صدر الدين بن الوكيل:

تغننت في ذرى الأوراق ورق ففي الأفنان من طرب فنون
وكم بسمت ثغور الزهر عجبا وبالأكمام قد رقصت غصون

كشاجم وقيل لأبي الحسين البديهي:

وفضل فيه للأرض اختيال كأن جميع ما لبست حرير
فلأغصان من طرف ثن إذا مالت تغنيها الطيور

وأجاد بدر الدين الذهبي بقوله:

ورياض رقصت أزهارها فتمشت نسمة الريح إليها
طالعت شمس الضحى أوراقها بعد ما إن وقع الورق عليها

جحظة البرمكى:

ألا فاسقنيها قهوة بابلية تحاكي شعاع الشمس بل هي أفضل
فقد نطق القمري بعد سكوته ووافى كتاب الورد إنى مقبل

وقال آخر:

له نغمات تورث الحزن والأسى وتدمع أجفان العيون الفواتر
ويفعل بالأكباد ترجيع صوته وتفريده فعل السيوف البواتر

ابن المعتز:

وصوت حمامة سجمت بليل
فما زلنا نقول لها أعيدي

ابن نباتة:

وقد حنت إلى ألف بعيد
وللساقى الأهل من مزيد

مالي نديم سوى ورقاء ساجعة
إذا أدار اذكار الوصل لى قدحا

القيراطي:

من بعد مغتقى فيكم ومصطبحي
من أحمر الدمع غنتنى على قدحى

تنفس الصبح فجاءت لنا
وأطربت فى العود قمرية

عز الدين الموصلى:

من نحوه الأنفاس مسكية
وكيف لا تطرب عودية

تخيرت رسلا سرنا عندهم حقا
إذا قدمت منى عليكم فيا لها

ابن قرناص فى تغريد الشحرور:

إليكم وتلك الرسل فهى الحمائم
خوافى سر حملتها قوادم

يا حسننها من أيقة شحرورها
فكأنها لما علاها منبر

وقال آخر:

أضحى يرقق كل قلب قاسى
فيه خطيب من بنى العباس

وروضة رقصت أغصانها وشدت
وظل شحرورها الغريد يحسبه

أطيارها وتولى سقيها السحب
أسود ازامرا مزماره ذهب

غيره:

دعاك الهوى والشوق لما ترنمت
تجاوب ورقا قد أنسن على البكا
الجناب البلدى:

ذرى شجر للطير فيه تشاجر
كأن القمارى والبلابل وسطها
وقال آخر:

والأرض فى حلل قد كاد يحرقها
والطير فى ورق الأشجار شادبة
ابن قلافس:

والورق فى الأوراق قد هتفت على
فكان أوراق الغصون ستائر
ابن حبيب:

لم أنس بستانا حللنا به
والورق فى أوراق أغصانه
حسام الدين الحاجرى:

إنى لأعذر فى الأراك حمامة الـ
حكم الغرام الحاجرى بأسرها
الشيخ تقى الدين بن حجة:

هتوف الضحى فوق الغصون طروب
فكل لكل مسعد ومجيب

كأن صنوف النور فيه جواهر
قيان وأوراق الغصون منابر

توقد النار لولا ماؤها الجارى
كأنهن قيان خلف أستار

عذب الغصون بأعذب الألحان
وكان أصوات الطيور أغانى

يكاد عن حسن حبيبي ينوب
تجذب بالأطواق منا القلوب

شادى كذلك تفعل العشاق
فغدت وفى أعناقها الأطواق

دمعى تلون بعد فرقة حبه
فغدت مطوقة بما بخلت به

لم أدر ما غناؤها من شوقها
لأنها منوقة من طوقها

قوام حسنك فى ضمى لمعتنك
سواد قلبى يا ورقاء فى عنقك

الأمير أبو محمد عبد الله بن محمد الخفاجى من أبيات:

علينا وتتلو من صبايتها صحفا
وقد جاوبت من كل ناحية ألفا
لما لبست طوقا ولا خضبت كفا

وأراها فى الحزن ليست هنالك
مد وغنت وما الحزين كذلك

فأنت كقلبي من غرامى تخفق
ولو كنت ما كان الجناح يصفق

ناحت مطوقة الرياض وقد رأت
لكن بتلوين الدموع تباخلت

الشيخ بدر الدين بن الصاحب:

ناحت حمام البان بايقة الأسى
عجماء لا تظهر حرفا من شجى

أحسن منه:

وذات طوق على الأغصان تذكرنى
قد سودت مهجتى نوحا فقلت لها

وهاتفه فى البان تملى غرامها
عجبت لها تتلوا الفراق جهالة
ولو صدقت فيما تقول من الأسى

محيى الدين بن عبد الظاهر:

نسب الناس للحمامة حزنا
خضبت كفها وطوقت الجي

ابن صاحب تكريت:

تحملت يا برق اشتياقى إلى الحمى
وما أنت يا ورقاء مثلى حزينة

الحلى:

وبشرت بوفاة الليل ساجعة
مخضوبة الكف ما تنفك نائحة
لأنها فى غدیر الصبح قد سبحت
كأن أفراخها فى كفها ذبحت

ابن حصن كاتب المعتضد بن عباد:

وما هاجنى إلا ابن ورقاء هاتف
مفستق طوق لازوردى كلكل
أدار على الياقوت أجفان لؤلؤ
حديث شبا المنقار داج كأنه
ولما رأى دمعى مراقبا أرابه
وحت جناحيه وصفق طائرا
على فنن بين الجزيرة والنهر
موشى الحلى أحوى القوادم والظهر
وصاغ على الأجفان طوقا من التبر
شبا قلم من فضة مد من حبر
بكاءى فاستولى على غصن نضر
وطار بقلبي حيث طار ولا أدرى
وقال آخر:

أهاجك بالتغريد والليل عاكف
تنوح فتحى المستهام بنوحها
عرفت بسرى سرها وبغربتى
على أنها لم تدر ما بى وإنما
وقال آخر:

رب ورقاء هتوف فى الضحى
ذكرت ألف ودعرا صالحا
فبكائى ربما أرقها
ذات شجو صدحت فى فنن
فبكت حزنا فهاجت حزنى
وبكاهار بما أرقنى

وإذا تبدؤنى أسعدها
ولقد أشكو فما أفهمها
غير إنى بالجوى أعرفها
بدر الدين يوسف الذهبى:

أبدى حمام الأيك شجوا فناح
أعرب عن أشجائه سحرة
وليس من ناح على أيكة
وهبه قد قاسمنى ما ألا
أليس إنى قد كتمت الذى
ماذا على طائر أيك الحسمى
وما عليه من جناح إذا
لنا حديث يا حمام الحمى
ألفت غصنا وأنا فى الهوى
فهاهنا طارحنى فكل غدا
الشيخ صدر الدين بن الوكيل:

ولقد رأيت على الأراك حمامة
تبكى على غصن واندب قامة
تخشى من الأوتار فهى مروعة

وإذا أبدؤها تسعدنى
ولقد تشكو فما تفهمنى
وهى أيضاً بالجوى تعرفنى

ولم يطق كتمان وجد فباح
فصاح عن ألحان شوق فصاح
كمن غدا من دمه فى نباح
قيه من الوجد وطول النباح
ما بى من سكر هوى وهو باح
تبليغ ما بى من جوى والنياح
أعارنى نحو حبيبى جناح
توضحه الأشجان أى تضاح
فقد غصنا فأطلنا النواح
منا على غصن تغنى وناح

تبكى وستعدنى على أحزانى
فجميعنا يبكى على الأغصان
منها فكم غنت على العيدان

وقال أيضاً:

وهيجنى عصفورة فوق أيكة
تنام وقبل الصبح تبكى هنيهة
وأنت ضلوعى حين غنت وغردت
أخلاى لو ساعدتمونى على الأسى

بدر الدين الذهبى وأجاد:

وتنبهت ذات الجناح بسحرة
ورقاء قد أخذت فنون الحزن عن
قامت تطارحنى الغرام جهالة
إنى تبارينى جوى وصبابة
وأنا الذى أملى الهوى من خاطرى

وأبدع الشيخ علاء الدين الوداعى:

وفى أسانيد الأراك حافظ
وكلما ناحت به حمامة
وعكرمة من أسماء الحمامة ولذلك
لم أنس قول الورق وهى حبيسة
قد كنت ألبس من غصونى خضرا

وما أطف قول ابن تميم فى الطير المحبوس فى القفص:

أنا للطائر سجن
قضب البان ضلوعى
أقتنى كل ملىح
وحممام الأيك روحى

فصل فى حمائم الرسائل

قال القاضى الفاضل سرحت لا تزال أجنحتها تحمل من البطائق أجنحة وتجهز جيوش المقاصد والأقلام أسلحة وتحمل من الأبار ما تحمله الضمائر وتطوى الأرض إذا نشرت الجناح الطائر وتزوى لها الأرض حتى ترى ما سيلغنه ملك الأمة وتقرب منها السماء حتى ما لا يبلغفه وهم ولا همة وتكون مراكب الأغراض والأجنحة قلوعا وتركب الجو بحرا تصطفق فيه هبوب الرياح موجا مرفوعا وتعلق الجناحات على أعجازها ولا تصرف الأرداد عن إنجازها ومن بلاغات البطائق ما هى مشهورة به من السجع ومن رياض كتبها ألفت الرياض فهى إليها دائمة الرجوع، وقد سكنت النجوم فهى أنجم وأعدت فى كنانتها فهى للحاجات كالأسهم وكادت تكون ملائكة لأنها رسل إذا نيطت بها الرقاع صارت إلى أجنحة مثنى وثلاث ورباع، وقد باعد الله بين أسفارها وقربها وجعلها طيف خيال اليقظة الذى صدق العين وما كذبها وقد أخذت عهد أمانة أطواقا وأدتها من أذناها أوراقا فصارت خوافية وراء الخوافى ترغم أنف النوى بتقريب العهود وتكاد العيون بملاحظتها تلاحظ أنجم السعود وهى أنبياء الطير لكثرة ما تأتى به من الأنبياء وخطبائها لأنها تقوم على منابر الأغصان مقام الخطباء.

قال الشيخ تقي الدين بن حجة فسح الله فى أجله: سرح فما سرح العيون إلا دون رسالته المقبولة وطلب السبق فلم يرض مغرق البرق سرجا ولا استطلى صفحته المصقولة وهم جواد النسيم عاريا فقصر وأمست أذياه بعرق السحب مبلولة وأرسل فأقر الناس برسالته وكتابه المصدق وانقطع كوكب الصبح خلفه، فقال عند التقصير كنت نجابا وعلى يدي مخلق يؤدى ما على يده من حسن الترسل فيهيح الأشواق وما برحت الحمائم تحسن الأداء فى الأوراق وصحبناه على الهدى فقال ما ضل صاحبكم وما غوى، وما روى عنه حديث هذا الفصل.

فغن عكرمة روى يطير مع الهوى لفرط صلاحه ولم يبق على السر
المصون جناح إذا دخل تحت جناحه وإن برز من مقفصه لم يبق لطرح البرد
قيمه بل يتغزل فى أطواقه وتعلق عليه من العين تلك التميمة ما سجن إلا
صبر على السجن وضيقه الأطواق ولهذا حمدنا عاقبته على الإطلاق ولا غنى
على عود إلا أسال دموع الندى من حدائق الرياض ولا أطلق من كبد الجو إلا
كان سهما مريشا تبغ به الأغراض كم علا فصار بريش القوادم كالأهداب لعين
الشمس، وأمسى عند الهبوط لعين الهلال النعلية كالطمس فهو الطائر الميمون
والغاية السباقة والأمين الذى إذا أودع أسرار الملوك حملها بطاقة وهو من
الطيور التى خلا لها الجو فنقرت ما شاءت من حبات النجوم والعجماء التى
من أخذ عنها سرح المعلقات، فقد أعرب عن دقائق المفهوم والمقدمة والنتيجة
للكتاب الحجلى فى منطق الطير وهى من جملة الكتاب الذى إذا وصل القارئ
منه إلى الفتح تهلل منه بفاتحة الخير أن تصدر البازى بغير علم فكم جمعت
بين طرفى كتاب وإن سألت العقبان عن بديع السجع أحجمت عن رد الجواب
شعر:

رعت النسور بقوة جيف الفلا ورعى الذباب الشهد وهو ضعيف

ما قدمت إلا وأرتنا من شمائلها اللطيفة فنعم القادمة وأظهرت لنا من
تلك الخوافى ما كانت له خير كاتمة كم أهدت من مخلقها وهى غادية رائحة،
وكم حنت إليها الجوارح وهى أدام الله إطلاقها غير جارحة وكم أدارت من
كؤوس السجع ما هو أرق من قهوة الإنشا وأبهج على زهر المشور من صبح
الأعشى وكم عامت بحور الفضاء ولم تحفل بأمواج الجبال وكم جاءت بيشارة
خضبت لها الكف ورمت من تلك الأتملة قلامه الهلال وكم زاحمت النجوم
بالمناكب حتى ظفرت بكف الخضيب وانحدرت كأنها دمعة سقطت على خد
الشفق لأمر مريب وكم لمع فى أصول الشمس خضاب كفها الوضاح فصار
بسموها وفرط البهجة كمشكاة فيها مصباح، والله تعالى يديم بأفنان أبوابه
العالية ألحان السواجع ولا برح تغريدها مطربا بين البادى والراجع.

الباب الرابع والعشرون

فى الغيم والمطر والرعد والبرق والثج والبرد والشمس

والقمر والليل والنهار والسماء والنجوم وغير ذلك

قال بعضهم :

ويوم كأخلاق الملوك ملون
كذلك أخلاق الملوك محبة
فصحو ودجن ثم طل ووابل
وبغض ومنع بين ذلك ونائل

على بن الجهم :

أما ترى اليوم ما أحلى شمائله
كأنه أنت يا من لا شبيه له
صحو وغيم وإبراق وإرعاد
وصل وهجر وتقريب وإبعاد

السرى الرفا :

حنا المدام فإذا يوم به قصر
صحور وغيم يروق العين حسنها
وما به عن تمام الحسن تقصير
فالصحو فيروزج والغيم سمور

وأحسن منه :

يوم دعائك إلى حث الكؤوس به
واطنب البرد حتى الشمس ما طلعت
طل سقيط وغيم غير منجاب
إلا مزملة فى فرو سنجاب

ابن المعتز :

تظل الشمس ترمقنا بطرف
تحاول فتق غيم وهو يأبى
خفى لحظه من خلف ستر
كعنين يحاول فتق بكر

أبو محمد العسال الطليطلى:

ولرب يوم لا يلوح سماؤه
والشمس تحت رقيقها فكأنها
زرت غمامة عليه طوقها
مرآة مغترب تنفس فوقها
ومن هنا أخذ القيراطى فقال:

والبدر يستر بالغيوم وينجلي
كتنفس الحسنة في مرآتها

ابن المعتصم الأنطاكى فى الغيم والنجوم:

وليل كأن نجوم السما
ترى الغيم من دونها جاجبا
ء بها مقل جنحت للهجوع
كما احتجبت مقل بالدموع
ابن وكيع التنيسى فى الغيم والبرق:

قم فاسقنى والخليج مضطرب
كأنها والرياح تعطفها
والريح تشنى ذوائب القضب
والجسو فى حلة ممسكة
صف قنا سندسية العذب
قد طرزتها البروق بالذهب
الزاهى وقيل لابن رشيق فى الغيم والمطر والبرق:

خليلى هل للمزن مقلّة عاشق
سحاب حكّت ثكلى أصيبت بواحد
أم النار فى أحشائها وهى لا تدرى
تفرق دمعاً فى خدود توشحت
مطارفها بالبرق طرزا من التبر
فوشى بلا رقم ونسج بلا يد
ودمع بلا عين وضحك بلا ثغر
الزاهى فى المطر والبرق:

الريح تعصف والأغصان تعتق والمزن باكية والزهر معتبق
كأنما الليل جفن والبروق له عين من الشمس ترنو ثم تنطبق

ابن سناء الملك فى المطر والرعد والبرق:

ويوم مطير قد ترنم رعدده وصفق لما أحسن القطر فى الرقص
ورقعة ماء تحت نرد فواقع وأفق عليه البرق يلعب بالفص
شربنا على هذا وذاك مدامة بدت كالعقيق الرطب والذهب الرخص
أعيد لنا فى كاسها شخص قيصر وكسرى فكادت تبعث الروح فى الشخص

الطلق فى الغمام والرعد والبرق والمطر:

فكان الغمام صب عميده إن بالرعد حرقة واشتكاء
وكان البروق نار جواه والجياذ معه تسيل بكاء
وقال آخر فيه:

ويوم كساه الغيم ثوبا مصندلا وصاغت طرازيه يد البرق عسجدا
كان السما والرعد فيه تذاكرا هوى لهما فاستغربت وتنهدا

أبو حفص بن برد فى المطر والبرق:

تأكل كيف يبكى المزن خوفا إذا غشيته أسياف البروق
وكيف يشق لامعها الدياتجى كشق الذهن للمعنى الدقيق

ابن وكيع فى السحاب والرعد والمطر والبرق:

وسحاب إذا همى الماء فيه ألهب الرعد فى حشاه البروقا
مثل ماء العيون لم يجبر إلا ظل يذكى على القلوب حريقا

عبد الله بن طاهر:

وقد دعائك إلى اللذات داعيه
الفاناه فما ينفك باكيه

أما ترى اليوم قد رقت حواشيه
وجاد بالقطر حتى خلت إن له

جمال الدين بن نباتة:

لا عجب شيء يعجب العين والفكر
فينسج منه للثرى حلة خضرا

قفا فاعجبا من هامل الغيث إنه
يمد على الأفاق بيض خيسوطه

غيره:

وأدمع الغيث في الصفاح
قد بات يبكي على الصباح

أقول والليل في امتداد
أظن ليلى بغفير شك

وقال آخر:

ونبتها من مائها المستطاب
قسمن من ألوان قوس السحاب

الأرض لا تنكر فضل السما
وهذه الألوان في زهرها

الواو الدمشقي:

والشمس مسفرة والبرق خلاس
رشق السهام وعين الشمس برجاس

سقيا ليوم غدا قوس السماء به
كأنه قوس رام والبروق له

وقال أبو الحسين الجزار:

روض له بنبات الغيم ترقيش
لأنه ببسديع الزهر مفروش
والبرق راياته والرعد جاويش

كم ليلة يسقيني المدام على
في مجلس ضحكت أرجاؤه طربا
والغيث كالمملك يرتج الوجود له

ابن عباد:

أقبل الثلج لانبساط السرور
أقبل الجوف في غلائل نور
فكان السماء صاهرت الأر
فاشربن بالصغير ثم الكبير
يتهادى بلؤلؤ منشور
ض وذاك النثار من كافور

السرى الرفاء:

أهلا به من عارض ترك الدجا
نثرت يد الأرياح لؤلؤ ثلجه
وكانما عبثت لوامع برقه
بيياض مزنته غرابا أبقعا
فبدا بأجياذ الغصون مرصعا
بسحابة فرمت به فتقطعا

وقال آخر:

ويوم برد بدا أنفاسه
يوم تود الشمس من برده
غيره:
مخمش الأوجه من قرصها
لو جرت النار إلى قرصها

حسن صبرى ورعدتى وفتوعى
يرقب الشمس عند وقت الطلوع
ليس عندى من آلة البرد إلا
فكأنى لشدة البرد هر

المعمار:

ظن الشتاء بأنه
فإذا رأى فى حالتى
عندى يقسيم إلى الربيع
والله ماذا إلا صقيع

ومن مخترعات أبى الحسين الجزار:

على حتى غسلت اليوم أثوابي
دعنى فمستوقد الحمام أولى بى
قاسيت وقع الندى من فوق أجيايى

لبست بيتى وقد زررت أبوابى
وقد أزال الشتا ما كان من حمقى
ما كنت أعرف ما ضرب المقارع أو
غيره:

لا أبالى إذا أتانى الشتاء
م ثيابى وطيلسانى الهواء
ر مدار وسقف بيتى السماء
ل عزلا ينقضى وهناء
ه حبيب رقيبہ الإمساء
ما نوى وما لهم أهواء
عبد شمس تسوءنى الظلماء
مى أبدت بيانه الأعضاء
الكساءى واحتمى الغرماء
ر غريب وهكذا الغرباء

لى من الشمس حلة صفراء
ومن الزمهرير إن حدث الغيد
بيتى الأرض والسماء به سو
لى م الليل والنهار على الطو
كأ الإصباح عندى لما فيـ
شيع الناس إننى جاهل
أخذونى بظاهرى إذ رأونى
إن فصل الشتاء مذ نحا جسـ
فيه غريمى المبرد إذ عز
أنت يا قلب بعد فرقتك الصدر

فبعث إليه بكسرة فبعث إليه الجزار بسكره:

ر سنينا غسلتها ألف غسلة
منذ فصلتها نشاء بجملة
ب فباتت تشكو هواه ونزلة
مرارا وما تقر بعمله

لى نصفية تعد من العمـ
لا تسلى عن مشتراها ففيها
نشف الريح صدرها والأراز
كل يوم يحوطها العصر والدق

وقال مضمنا:

قفا نبك من ذكرى قميص وسروال
ولا سيما والبرد وافى بريده
ترى هل ترانى الناس فى فرجية
ويمسى عدولى غير خال من الأيا
ولو أننى أسعى لتفصيل جبة
ولكننى أسعى لمجد بجوخة
وذراعة لى قد عفا رسمها البالى
وحالى على ما اعتدت من عسره حالى
أجربها تيهها على الأرض أذبالى
إذا بات من أمثاله منزلى خال
كفانى ولم أطلب قليل من المال
وقد يدرك المجد الموثل أمثالى

المهلبى فى الشمس:

الشمس فى مشرقها قد بدت
كأنها بودقة أحميت
ابن مرج الكحل الأندلسى:

والنهر مصقول الأباطح والربا
ما اصفر وجه الشمس عند غروبها
بمصنل من زهره ومعصفر
إلا لفرقة حسن ذاك المنظر
وقال آخر:

أو ما ترى شمس الأصيل علية
مالت لتحجب شخصها فكأنما
تزداد ما بين المغارب مغربا
مدت على الدنيا ملاً مذهباً

ابن المعتز وقيل ابن وكيع فى الشمس على الماء:

غدير ترجرج أمواجه
إذا الشمس من فوقه أشرقت
هبوب الرياح ومر الصبا
توهمته جوشنا مذهباً

غيره:

ولقد ركبت البحر وهو كحلبة
فكأنا سلت به أمواجه
والموج تحسبه جوادا يركض
بيضاء تذهب تارة وتفضض

أبو الغرب الصقلى:

انظر إلى الشمس وقد أشرقت
كأنه نهر لجين وقد
تشق نهرا حافلا مزبدا
ألقى عليه صائغ عسجدا

أبو العلاء المعرى:

تظن به ثوب اللجين فإن بدت
تبیت النجوم الهر فى حجراته
به الشمس أجرت فوقه ذوب عسجد
شوارع مثل اللؤلؤ المتبدد
فاطرحن فى أشباحهن سواقطا
على الماء حتى كدن يلقطن باليد

ابن تميم وأجاد إلى الغاية:

ولما احتمت منا الغزالة بالسما
نصبتا شباك الماء فى الأرض حيلة
وعز على قناصها أن ينالها
عليها فلم نقدر فصدنا خيالها

المعوج فى الشمس على ورق الأشجار وأبدع إلى الغاية:

كان طلوع الشمس فى كل غدوة
دنائير فى كف الأشل يضمها
على ورق الأشجار أو طالع
إليه فتهوى من فروج الأصابع

ابن طباطبا فى الهلال:

تأمل نحوى والهلال إذا بدا
على أنه يزداد فى كل ليلة
ليلته فى أفقه أينما مضى
نموا وقلبي بالضنى دائما يفنى

فيه أيضاً:

رأيت الهلال ووجه الحبيب فلم أدر أيهما أنور
على أن ذاك بعبيد المال وهذا قسريب لمن ينظر
وذاك يغيب وذا حاضر وما من يغيب كمن يحضر
ونفع الهلال لنا ساعة ونفع الحبيب لنا أكثر

وما أحس قول ابن المعتز:

وجاءني في قميص الليل مستترا مستعجل الخطو من خوف ومن حذر
ولاح ضوء هلال كاد يفضحنا مثل القلامة قد قدت من الظفر

وما ألطف قول بعضهم في مليح يقلم أظفاره:

ناديت من أهواه وهو مقلم أشفقاره يا نزهة المتأمل
فأجابني أتظنني قلمتها عن حاجة لابل لمعنى عن لى
لأريك يا من بالهلال تقسيني إن الهلال قلامة من أنملى
وقال ابن المعتز أيضاً:

أهلا بظفر قد أنار هلاله فالآن فاغد إلى المدام وبكر
وانظر إليه كزورق من فضة قد أثقلته حمولة من عنبر
الشهاب محمود:

كان الثريا والهلال ودارة حوته وقد زان الثريا التمامها
جباب طفا من حول زورق فضة بكف فتاة طاف بالراح جامها

ابن النقيب :

أعملت فكرى فى السماء وقد بدا
فكأنما هى شقوة ممدودة
ففيها هلال جسمه منهوك
وكأنه من فوقها مكوك

أبو هلال فى الهلال أيضاً :

وكؤوس دارت علينا بليل
وكان الهلال مرآة تبر
تحت سقف مرصع باللجين
تنجلي كل ليلة أصبعين

الصفدى :

حكى هلال الأفق لما مضت
مرآة خد بعضها ظاهر
له ثلاث واعتلى واستناد
والبعض منها فى غلاف العذار

وقال آخر :

وعشاء كأنما الأفق فيه
لما قلت هوت لمغربها الشم
لازورد ملمع بنضار
س ولاح الهلال للنظار
أعرض الشرق ضده الغرب دينا

ابن المعتز فى الهلال والثريا :

وكان المجد جدول ماء
وكان الهلال نصف سوار
نور الأتحوان فى جانبه
والثريا كف يشير إليه

وله فيه أيضاً :

زارنى والدجا أجم الحواشى
وهلال السماء طوق عروس
والثريا فى الغرب كالعتقود
وبات يجلى على غلائل سود

فى اقتران الهلال بالزهرة:

قارن الزهرة الهلال فكأنا
وإذا اتقارنا قلت طوق
فى اقتران من غير صد وهجرة
من لجين قد علقت فيه درة

وقال آخر فيه:

وكم ركبت من الظلماء أدهمها
والليل يمشط من ظلمانه لما
وعاق أشهب صبحى عنه تشكيل
لها بمشط ثريا الأفق ترجيل
ومن هلال السما الزاهى وزهرتها
بجامع الزهر محراب وقتديلة

القيراطى فى الليل والصبح والهلال والزهرة:

أما ترى الزهرة قد لاحت لنا
ككرة من فضة مجلوة
تحت هلال لونه يحكى الذهب
أوفى عليها صولجان من ذهب

الميكالى فى الهلال والزهرة:

رأيت الهلال وقد حلقت
فشبهته وهو فى أثرها
نجوم الشريا لكى تسبقه
وبينهما الزهرة المشرقة
فحلقت فى أثره بتدقعه
كرام بقوس رأى طائرا

فى الليل والهلال والنجوم:

كأنما الليل والهلال وقد
رام من الزنج قوسه ذهب
وافت نجوم السماء منقضة
تخرج منه بنادق الفضة

ابن المعتز فى الهلال والنجوم:

انظر إلى حسن هلال بدا
يهتك من أنواره الخندسا
كمنجل قد صبغ من فضة
يحصد من زهر الدجا نرجسا
التوخى فيه :

والهلال الذى يلو
ح خلال الغياهب
مثل فخ اللجين صي
غ لصيد الكواعب

فى تشبيه الهلال أشياء بديعة تزيد على سبعين تشبيها واعتنى الشيخ
جمال الدين بن نباتة يجمع بعضها فى قصيدته الرائية التى امتدح بها الملك
المؤيد صاحب حماة التى أولها :

يا شاهر اللحظ حالى فيك مشهور
وكاسر الجفن قلبى منك مكسور
فقال :

كان شكل هلال العيد فى يده
قوس على مهج الأعداء موتور
أو مخلب مده نسر السماء لهم
فكل طائر قلب منه مذعور
أو منجل لحصاد القوم منعطف
أو نخل تبرأ جادت فى هديته
أو راجع الظهر شكرا للظلام على
من فضله فى السما والأرض مشكور
أو زورق جاء فيه العيد منحدر
حيث الدجى كعباب البحر مسجور
أو لا فقل شفة للكاس مائلة
تذكر العيش إن العيش مذكور
أو لا فتصف سوار قام يطرحه
كف الدجى حين عمته التباشير
أو لا فقطعة قيد فك عن بشر
أخنى الصيام عليه فهو مأسور
أو لا فم رمضان النون قد سقطت
لما مضى وهو من شوال مدعور

قلت وهذا المعنى أخذه الشيخ جمال الدين بن قلاص فإنه قال :

وهلال شوال يقول مصدقا بيدي غصبت النون من رمضان

ولكن شتان بين قول ابن قلاص بيدي غصبت النون من رمضان وبين قول الشيخ جمال الدين لما مضى وهو من شوال مدعور فإن هذا حشو لا فائدة فيه والله أعلم .

وأما القاضي مجد الدين بن مكناس فإنه زاد على الشيخ جمال الدين في التشبيهات البديعة في أرجوزته التي سماها عمدة الحرفاء وقدوة الظرفاء ، وقد أوردت غالبها في باب أدب النديم وأخرت التشبيهات إلى هنا فتعين إيرادها قال يصف ليلة أنسه :

يا طيبها من ليلة	لو زنهنا طويلة
ساعاتها قصار	وكلها أنوار
بدا بها الهلال	يزينه الجمال
من جانب الغمامة	كالحب في العمامة
ولمعة السراج	والصدغ في الزجاج
وجانب المرأة	والنعل في الفسلاة
وكشفاه الأكؤس	والحاجب المقسوس
قالت لي حين وفي	ورق لي وانعطفنا
كالغصن لدن أعوج	والعلاج أو كالدملجج
معرفة كالنون	وهيئة العرجون
يشبهه طوق الدرة	في الصحو بين الخضرة
يا صفوة الأقمار	يا بدى الأنوار
يا من يحاكي الغيبة	والقينة المتخبة
وزورق السباحة	والطعن في التفاحة

أصبحت في التمثيل	تشب ناب الفسيل
فيأله حين وثب	قربوس سرج من ذهب
أو منجل الأعمار	أو قسمة النوار
أو مخلصا للطائر	أو مثل نقل الحافر
يا مشبه القلامه	هنيت بالسلامه
والبدر والدرارى	الخنس الجوارى
ملك لدى سمائه	يختال فى إمائه
فى وجهه آثار	كأنه دينار
تشرق فى الديقور	كجامه البلور
بين الظلام سوارى	كالوجه فى العذار

حسان الكلبى المعروف بعرقلة فى البدر:

أما ترى البدر فى السماء وقد	حاول من بعد تمه نقصه
بيننا تراه كخشى تكانكة	حتى تراه كأنه قرصه

سعيد بن عثمان المعروف بالسكينة:

والبدر فى أفق السماء قد انطوت	طرفاه حتى عاد مثل الزورق
فتراه من تحت المحاق كأنما	غرق الجميع وبعضه لم يغرق

غيره:

قم هاتها كاسا كأن حبابها	طل أحاط بوردة حمراء
والبدر فى أفق السماء كأنه	ذهب على ياقوتة زرقاء

ابن الرومى فى القمر والنجوم:

ومدامة كدم الذبيح شربتها
وكانما زهر الكواكب حوله
والبدر يجنح من خلال المشرق
درر نثرن على بساط أزرق

تيم بن معد:

انظر إلى الليل كالزنجي منهزما
والبدر منتصب ما بين أنجمه
والصبح فى أثره يعدو بأشهبه
كأنه ملك فى صدر موكبه

عبد الوهاب بن حزم:

ولم أنس مسرى ربة القرض إذ سرت
وكان الثريا خاتم فى بنائها
عشاء وفرع الليل محلو لك جعد
ومنطقة الجوزاء فى جيدها عقد
وقد طلع البدر المنير كأنه
ملك وأشتات النجوم له جند

أبو نصر سهل بن المرزبان فى القمر والثريا:

كم ليلة أحييتها ومنادى
شبهت بدر سمائها لما بدت
طرف الحديث وطيب حث الأكؤس
منه الثريا فى ملاءة سندس
ملكاً مهاباً جالساً فى روضة
حياه بعض الزائرين بنرجس

عرقلة الدمشقى فى القمر والثريا والنجوم:

كأن الثريا وبدر السما
يدان أشارت إلى روضة
وأجمها طلع تزحف
وبينهما نرجس مضعف

عبد العزيز بن الحاكم فى القمر والمريخ:

وكان البدر والمر يخ إذ وافى إليه
ملك توقد ليلا شمعة بين يديه

القاضي التنوخي في المريخ والمشتري:

كان المريخ والمشتري قدامه في شامخ الرقعة
منصرف بالليل في ظلمة قد أسرجوا قدامه شمعة

ابن النادى الواسطى فى القمر على الماء:

أما ترى الليل قد ولت عساكره مهزومة وجيوش الصبح فى الطلب
والبدر فى الأفق الغربى تحسبه قد مد جسرا على الشطين من ذهب

القاضي التنوخي فيه:

أحسن بدجلة والدجا منصوب والبدر فى أفق السماء مغرب
وكأنها فيه بساط أزرق وكأنه فيها طراز مذهب

منصور بن كيغلق فيه:

كم ليلة سامرت فيها بدرها من فوق دجلة قبل أن يتغيبا
والبدر يجنح للغروب كأنما قد سل فوق الما نصلا مذهبا

وقال آخر فيه:

قم يا غلام أدر على بسحرة كاسا كطعم الشهد بل هي أعذب
لا سيما والليل يجمع فوقه بدر لوقت مغيبه يتصوب

غيره فيه:

أما ترى البدر فى دجا الغسق قد امتطى فوق منكب الأفق
أهدى إلى النهر حسن بهجته فبسات فى حلة من الورق
وأجاد ابن طباطبا فى تشبيه النجوم والقمر على الماء :

كم يلة سامرت أنجمها التى عرصات أرضى مائها كسمائها
قد سيرت فيها النجوم كأنما فلك السماء يدور فى أرجائها
أحسن بها بحرا إذا التبس الدجا كانت نجوم الليل من حصائها
ترنو إلى الجوزاء وهى غريقة تبغى النجاء ولات حين نجائها
الصلاح الصفدى :

كأن الأغصان فى روضها والبدر فى أنائها مسفر
بنت ملك سار فى موكب قامت إلى شباكها تنظر
غيره :

كأنما الأغصان لما اثنت أمام بدر التم فى غيبه
بنت ملك خلف شباكها تفرجت منه على موكبه
وقال آخر :

والبدر فى الجانب الغربى متسق والغيم يكسوه جلبابا ويكسبه
كوجه محبوبة تبدو لعاشقها فإن بدا لهما واش تنقبه
الأكرم بن هبيرة :

وكان هذا البدر حين تظله سحب فىخفى تارة ويؤوب
حسنا تبدو من خلال سجوفها طورا فتتنظر نحونا وتغيب

ابن برد فيه :

والبدر كالمرآة غير صقلها
والليل ملتبس بضوء صباحه
عبث العذارى فيه بالأنفاس
مثل التباس النقش بالقرطاس

أخذه القيراطى ولكنه أجاد تركيبه فقال :

كم ليلة نادمت بدر سمائها
والبدر يستر بالغيوم وينجلي
والشمس تشرق فى أكف سقاتها
والتنفس الحسنا فى مرآتها
ولطيف هنا قول بعضهم :

وصيرت بدر التم مذ غاب مؤنسى
فحجبه عنى الغمام بذيله
أنيسى وقلت البدر منه قريب
فوا أسفاً حتى الغمام رقيب
فى كسوف القمر :

من لم ير البدر لم ير العجبا
سار إلى الشمس كى يقبلها
فى ليلة التم إذ رأى طربا
فلم يجدها فعاد متقبلا
آخر فيه لابن الرومى :

يا من بغرته الهلال أما ترى
كخريدة نظرت إلى إلف لها
قمر السماء وقد بدا فى المشرق
فتلثمت خجلا بكم أزرق
ويحكى أن القاضى جمال الدين بن الزملكانى كان يهوى شابا بديع
الجمال يسمى بدر الدين فكتب إليه :

يا بدر دين الله صلى مدنفنا
لا تخش من عار إذا زرته
صيره حبك رق الخلال
فما يخاف البدر عند الكمال

فلما سمع بهما الشيخ صدر الدين بن الوكيل كتب إلى الشاب
معارضاً:

يا بدر لا تسمع مقال الكمال فكل مسامق دور محال
البدر يخشى النقص في تمه وإنما يخسف عند الكمال

ومن الاتفاقات الغريبة أن بعض الناس كان يحب شخصاً بديع الجمال
يلقب ببدر الدين فاتفق أنه وفي ليلة البدر فلما أقبل الليل وتكمل البدر لم
يتمالك محبه من رؤيته من شدة الأسف والحزن وأنشد يخاطب البدر:

شقيقك غيب في لحده وتطلع يا بدر من بعده
فهلا كسفت وكان الكسوف لباس السواد على فقده

فكسف القمر من ساعته فانظر إلى صدق هذه المحبة وتأثيرها في القمر
وصدق من قال أن المحبة مغناطيس القلوب.

وأغرب من ذلك وألطف ما حكى أن الصاحب بدر الدين وزير اليمن
كان له أخ بديع الجمال وكان شديد الحرص عليه فأتى له بشيخ ذى هيبة ووقار
ودين وعفة ليعلمه وأسكنه بمنزل قريب منه فأقام على ذلك مدة يأتي كل يوم
إلى بيت الصاحب بدر الدين يعلم أخاه وينصرف إلى منزله، ثم إن الشيخ
امتحن بمحبة ذلك الشاب وقوى غرامه فيه فشكى له يوماً حاله، فقال له
الشاب ما حيلتى وأنا لا أستطيع مفارقة أخى ليلاً ولا نهاراً.

أما النهار فكما ترى ملازماً لنا، وأما الليل فإن سريرى مقابل لسريه،
فقال لى الشيخ إن منزلى ملاصق لداركم إذا غمضت عين أخيك وأخذته النوم
أن تقوم تستعمل ماء فتأتى إلى الحائط، وأنا أتناولك من وراء الجدار فتجلس

عندى لحظة لطيفة ثم تعود من غير أن يشعر أخوك بشيء فقال الشاب سمعا وطاعة، وتواعدا على ليلة فجهز له الشيخ من التحف والطرف ما يليق بمقامه، وأما الشاب فإنه أخذ مضجعه للنوم وأظهر أنه نائم.

فلما نام الصباح بدر الدين واستغرق وأمن من انتباهه قام الشاب وتمشى خطوات وفتح بابا توصل منه إلى الحائط فوجد شيخه واقفا ينتظره فتناوله وصار عنده فى المنزل، وكانت ليلة البدر فجلسا وتنادما ودارت بينهما كأسات الشراب ممزوجة ببرد الرضاب، وانتشى الشيخ وأخذ فى الغناء وقد رمى البدر جرمه عليهما وهما فى مقام يجلى عن الوصف إذا انتبه الصباح بدر الدين فلم يجد أخاه فقام فزعا ووجد الباب الذى استطرق منه مفتوحا فقال من هنا جاء الشر فدخل منه وصعد الحائط فوجد نورا ساطعا من البيت فارتجم إلى السطح ونظر من كور القاعة فرأهما على تلك الحالة والكاس فى يد الشيخ وهو ينشد بأحسن صوت:

سقانى خمرة من ريق فيه وحييا بالعذار وما يليه
وبات معانقى خذا بخد غزال فى الأنام بلا شبويه
وبات البدر مطلعنا علينا سلوه لا ينم على أخويه

فكان من لطافة الصباح بدر الدين أن قال والله لا أنم عليكما وتركهما وانصرف.

الشيء بالشيء يذكر قد تقدم أن يزيد بن معاوية كان مغرما بحب الشراب وكان والده ينهاه عن ذلك، فالتزم لوالده أن لا يعود إلى شرب الخمر وصار يفعل ذلك خفية فذكر ذلك لوالده فصار يتبعه إلى أن ظفر به ذات ليلة فى مكان فتسور عليه وكاد أن يهجم فسمع ولده ينشد:

ألا إن أهني العيش ما سمحت به صروف الليالي والحوادث نوم
فثنى رجله وقال والله لا أكون في هذه الليلة من الحوادث على ولدى
وانصرف من حيث أتى وقال بعضهم:

رأت قمر السماء فأذكرتني ليالي وصلها بالرقمتين
كلانا ناظر قمرًا ولكن رأيت بعينها ورأت بعيني
معنى هذين البيتين متوقف على تقديم مقدمة وهي أن مذهب هذا
الشاعر أن وجه محبوبته هو القمر حقيقة وقمر السماء مجاز على سبيل
الاستدعاء والمبالغة وذلك جائز عند أهل المعاني والبيان كقول الشاعر:

لا تعجبوا من بلى غلالته قد زر أزراره على القمر

فإن هذا الشاعر لما اعتقد أن محبوبه قمرًا أجرى عليه أحكام القمر فإنه
كما يقال أن من خاصية القمر أن يبلى الثياب رجع إلى تفسير البيتين المتقدمين
ومذهب قائلهما أيضًا أن محبوبته على العكس من ذلك أن قمر السماء هو
الحقيقة، وأن وجهها قمر مجازًا كما هو كذلك في باطن الأمر فقوله كلانا
ناظر قمرًا، أي أنه ناظر إليهما وهي ناظرة إلى قمر السماء، وقوله رأيت
بعينها، أي رأيتها قمرًا حقيقة كما أن عينها تنظر قمر السماء حقيقة، وقوله
ورأت بعيني أنها رأت قمر السماء حقيقة. كما أن عيني تنظرها قمرًا حقيقة
وبلغني أن بعض العلماء تكلم على هذين البيتين كلامًا بليغًا نحو من كراسة
ولكن لم أقف عليه وفيما قلته كفاية وما أحسن قول المتنبي:

واستقبلت قمر السماء بوجهها فأرتني القمرين في وقت معا

ولم أسمع أبدع من قول القاضي الفاضل في مملوكه:

ترأى ومرآة السماء صقيلة فآثر فيها وجهه صورة البدر

وعمل له القاضى زين الدين بن الخراط أولا فقال:

ومحتجب لما رأى الركب فى الدجا ، وقد ضل يبغي البدر أسفر للسفر

ترأى ومرآة السماء صقيلة فآثر فيها وجهه صورة البدر

وعمل له تقي الدين بن حجة أيضا أولا فقال:

تحجب حتى بان فى أفقنا الصدا ولكنه مذ جن فى آخر الشهر

ترأى ومرآة السماء صقيلة فآثر فيها وجهه صورة للبدر

وما ألطف ما قال بعضهم:

ألا فانظرى للبدر فى كل ليلة فإنى إليه بالعشية ناظر

عسى يلتقى طرفى وطرفك عنده فنشكو إليه ما تكن الضمائر

ويقال إن من نظر إلى البدر فى ليالى متعددة وخاطبه بهدين البيتين وهو

مشغوف القلب اجتمع بمن يحب قبل مضى أسبوع وهما:

يا أيها القمر المنير الزاهر الأبلج البدر البهى الباهر

بلغ شبيهتك السلام وصف لها شوقى وإنى فى هواها ساهر

فى مقابلة القمر للشمس:

تأمل إذا ما قابل البدر شمسه صباحا وكل يملأ الأرض أنوارا

كأن الذى ألقى إلى الغرب درهما لحاجته ألقى إلى الشرق دينارا

الطغرائى فيه:

وكأما الشمس المنيرة إذ بدت والبدر يجنح للغروب وما غرب
متحاربان لذا مجن صاغه من فضة ولذا مجن من ذهب

محمد بن الحسين الحاتمى فى قصر الليل :

يا رب ليل سرور خلته قصرا كعارض البرق فى أفق الدجا برقا
قد كاد يعثر أولاه بأخره وكاد يسبق منه فجره الشفقا
كأما طرفاه طرف اتفق الـ جفنان منه على الأطياق وافترقا
غيره فيه :

سألت الليل إذ ولى هزيمًا وقد بات الحبيب على اقتراحى
فقال كواكبي غارت وسارت مخامرة على إلى الصباح
وقال آخر :

يا ليلة كاد من تقاصرها يعثر فيها العشا فى السحر
تطول فى هجرنا وتقصر فى الوصل بل فما نلتقى على قدر
سيدوك فى طول الليل :

عهدى بنا ورداء الوصل يجمعنا والليل أطوله كاللمح بالبصر
فالآن ليلى مذ بانوا فديتهم ليل الضرير فصبحى غير منتظر
فيه أيضًا :

يا أخى البدر سناء وسنا حفظ الله زمانا أطلعك
إن يطل بععدك ليلى فلکم بت أشكو قصر الليل معك

وقال آخر:

يطول ليلي إن صدت ويقصر إن
الليل إن هجرت كالليل إن وصلت

القاضي الأرجاني:

لا أدعي جور الزمان ولا أرى
لكن مرآة الزمان تنفسي

وقال آخر:

يا ليل طل أو لا تطل
لو بات عندي قممري

الرصافي:

يا ليلة طالت على عاشق
كادت تكون الدهر في طولها

أبو هلال العسكري فيه:

غابوا فلم أدر ما ألقى
ليل لا يبتغي حراكا

بشار بن برد:

خليلى ما بال الدجى لا يزحزح
أضل النهار المستنير طريقه

زارت فلا كان ليلي لا ولا سحري
أشكو من الطول ما أشكو من القصر

ليلي يزيد على الليالي طولا
للهم أصدى وجهها المصقولا

لا بد لي أن أسهـهـرك
مابـت أرعى قمـمـرك

نمتظر للصبح ميعادا
إذا مضى أولها عادا

مس من الوجد أم جنون
كأنه أدهم خرون

وما بال ضوء الشمس لا يتوضح
أم الدهر ليل كله ليس يبرج

السراج الوراق:

للشرق أم سدت عليه طريقه
أم عاق كل مسير عيوقه

يا ليل هل ضل الصباح فما اهتدى
وهل الكواكب سيرت أم سمرت

الأمير أبو عبد الله الخفاج:

فإن ليلي لا يرجى له سحر
فآخر الليل ما عندي له خبرا

من كان يحمد ليلا في تقاصره
لا تسألونى إلا عن أوائله

وقال آخر:

نى على الليل خشية وادكارا
أو صفوه فقد نسيت النهارا

أيها النائمون حولى أعينو
حدثونى عن النهار حديثا

سيف الدين المشد:

أحببته حين عسعس
يعيش كان تنفس

مات الصباح بليل
لو كان لليل صبح

ابن منقذ:

قطعته سحرا فطال وعسعس
لو كان فى قيد الحياة تنفسا

ولرب ليل تاه فيه نجمه
وسأله عن صبحه فأجابنى

وقال أيضاً:

والجو قد ألقى عليه سباتا
أيقنت أن صياحهم قد ماتا

لما رأيت النجم ساه طرفه
وبتاتنمش فى الحداد سوافرا

ابن الرومى :

رب ليل كأنه الليل طولا
ذى نجوم كأنهن نجوم الشيب
قد تناها فليس فيه مزيد
ب ليست تبديد لكن تزيد

أبو العلاء المعرى :

قول وقد طال ليلى على
أقصد نسور نجوم السماء
أما الشباب الدجى من مشيب
فلم تستطع نهضة للمغيب

ابن المعتز :

أقول وقد طال ليل الهموم
ترى الشمس قد مسخت كوكبا
وسامرت نجوى فؤاد سقيم
وقد طلعت فى عداد النجوم

ابن الوكيل :

بكف الثريا وهى جذ ما يقاس لى
ولو ذرعوها بالذراع لما انقضت
شفاق دجى مدت من الشرق للمغرب
فما تنقضى يا ليل أو ينقضى نحى

وقال آخر :

كأن الثريا راحة تشبر الدجى
فليل تراه بين شرق ومغرب
ليعلم طال الليل أم قد تعرضا
يقاس بشبر كيف يرجى له انقضا

ابن خفاجة :

والليل قند وافى يقلص برده
وكأنما كف الثريا سحرة
كدا ويسحب ذيله فى المغرب
كف يمسح عن معاطف أشهب

أبو الحسين بن فارس:

زارني في الدجى فتم عليه
والثريا كأنها كف خور
طيب أراد أنه لدى الرقباء
برزت من غلاله زرقاء

الواو الدمشقي:

رب ليل ما زلت أثم فيه
خمرها لابسا غلالة ورد

وقال آخر:

فصوص خواتيم بخمس أنامل
تقلب طورا وهي في كف حاسب

تميم بن المعز:

ألا اسقياني قهوة ذهبية
كأن الثريا والظلام يحفها
فقد ألبس الأفاق جنح الدجى دعج
فصوص لجين قد أحاط به سبج

السرى الرفا

كأن نجم الثريا كف ذى كرم
دارت علينا كؤوس الراح مترعة
مبسوطة للعطايا ليس تنقبض
وللدجا عارض في الأرض معترض
حتى رأيت نجوم الليل غائرة
كأنهن جفون حشوها مرض

أبو القاسم التميمي وقيل لابن المعتز:

كأن الثريا هودج فوق ناقه
وقد لمعت حتى كان يريقها
يحث بها حاد إلى الغرب مزعج
قوارير فيها زبيق يترجرج

القاضي الفاضل:

تم المنى من بعد إرجاء الرجا
أو لا فكيف قطعت بحرا من دجا
فأرى ثرياها كوشى هودجا

إلى أن بدا للصبح فى الليل عسكر
على حلة زرقاء جيب مدنر

من الدر عقد وهى واسطة العقد
وكان كمثل السيف سل من الغمد

رياض ربيع فصلت بشقيق
قلائد در فصلت بعقيق

تزهى فى ثوبها النقى
على بساط بتفسسجى

خلال نجومها عند الصباح
تفتح فيه نوار الأقاح

يا زائرى من بعد يأس ربما
أترى الهلال ركبت منه زورقا
أم زرتنى ومن النجوم ركائب
غيره للحاتمى :

وليل أقمنا فيه نعمل كاسنا
ونجم الثريا فى السماء كأنه
وقال آخر :

كأن الثريا فى أواخر ليلها
إلى أن تبدى الصبح من خلل الدجا
ابن الرومى :

كأن الثريا إذ تجمع شملها
وقد لمعت حتى كان بريقها
ابن وكيع فى النجوم والسماء :

أما ترى أنجم الدياتجى
تحكى لنا لؤلؤا رطيبا
ابن المعتز فيه :

كأن سماءنا لما تجلت
رياض بنفسج خضل نداه

وقال آخر:

يا ليلة هي طولاً
نجومها الزهر تحكى
والأنجم الزهر فيها
كمثل شوقي ووجدى
حسناً لآلىء عقد
كالورد فى اللازورد

ابن طباطبا وأجاد:

رب ليل صحبتته كاسف البيا
تحت سقف من الزمرد قد رصد
على بن طاهر:

وقد بدت النجوم على سماء
كسقف أزرق من لازورد
وقال آخر:

وافى وانعشنى بوعد متظنر
فشربت كاسا والنجوم كأنها
ابن المعتز:

كم ليلة شغل الرقاد عذولها
بما راعنا تحت الدجى شىء سوى
الواو الدمشقى:

كان نجوم الليل من جوف فجرها
عيون نهاها الشوق أن تطعم الكرى
وقد حان منها للغروب عزائم
فأجفانها مستيقظات نوائم

أبو القاسم الزاهي :

أرى الليل يمضي والنجوم كأنها
وقد لاح فجر يغمر الجو نوره

ابن المعتز فيه :

والنجم في الليل البهيم تخاله
والصبح من تحت الظلام كأنه

على بن محمد العلوي :

كأن اخضرار الفجر صرح ممد
كان سواد الليل في ضوء صبحه

أبو علي بن وكيع :

غرد القمري فنبه من نعس
سل سيف الفجر من غمد الدجا
وانجلي في حلل قضية

ابن ورد في الهلال والصبح :

وكان الهلال نون من الإيب
وكان الصباح لما تبدى

أبو نواس في البدر والصبح :

يا رب راح بت أشرب كاسها
من كف ظبي مالك لقيادي

والبدر فى أفق السماء كغادة
حتى بدا وجه الصباح كأنه
بيضاء لاحت فى لباس حداد
وجه الحبيب أتى بلا ميعاد

ابن الظهير الأربلى من أبيات يصف فيها الهلال ثم يقول:

جئتها والظلام راهب ليل
أو عظيم للزنج يقدم جيشا
وكان السماء روض أنيق
وكان النجوم در عقود
ليلة كالغداف لو لم يرعها
وتولت وأشهب الصبح يتلو
وكان الصباح ميل لجين
وثنى النجم عن سرراه عنانا
واجتلينا وجه الزمان كوجه الـ
وقال صاحب رسالة الطيف:

وليل غدا فى الأهاب ارتديته
كأن السماء اللازوردى مطرف
قد اطردت فيه المجرة جدولا
كأن سواد الليل زنج بدا لهم
كأن ضياء الشمس وجه محمد
وصحى نشاوى من نعاس ومن لغب
وأنجمه فيه دنائير من ذهب
فلاح عليه من كواكبها حبيب
من الصبح ترك فاستكانوا إلى الهرب
إذا أمه الراجى فأعطاه ما طلب

ابن نباتة :

كم ليلة بت أشكو من تطولها
وأرقب الشهب فيها وهي ثابتة
حتى بدا الصبح يحكى وجه سيدنا
أبو عثمان الخالدي :

ما عذرنا في حبسنا الأكوابا
وكأنما الصبح المنير وقد بدا
سقط الندى وصفا الهواء وطابا
بازا أطار من الظلام غرابا

وأبدع ما سمعت فيه قول ابن زكريا يحيى بن هذيل التجيبي :

نام طفل النبات في حجر النعامي
وسقى الوسمى أغصان النقا
كحل الفجر لهم جفن الدجى
تحسب البدر محيا ثمل
لاهتزاز الطل في مهد الخزامى
فهوت تلثم أفواه النادمى
وغدا فى وجنة الصبح لزاما
قد سقته راح الصبح مداما
مسكة الليل عليهن أختاما
حوله الزهر كؤوس قد غدت

الباب الخامس والعشرون

فى المطولات والأراجيز والأزجال من جميع ما تتضمن الزهريات

قال ابن الراجح الحللى :

نثرت عقود سمائها الأنداء
وبدت تباشير الربيع كأنما
وافتر ثغر الأقحوانة باسماء
والأرض قد زهيت بحلى نباتها
والروض فى نوشان سحرته وقد
وثنى الحيا عطف الغدير فصفقت
فكأن أعطاف الغصون منابر
فأجب نديم قد دعيت إلى الذى
أما الربيع فقد بدا وغصونه
فعلام نومك والمدام شروطها
وأزل خساسات النفوس فإنها
فينا من الماء القراح وشربه
فكس الكؤوس بها وحى لعل أن
وأدر من الراح الشمول حشاشة
عذراء كللها الحباب بتاجه
بيد النسيم فللثرى إثراء
نشرت حباتر وشيها صنعاء
إذ للشقيقة مقلة رمداء
والجو حلة سحبه دكنا
طافت عليه الديمة الوطفاء
أطرافه وتغنت الورقاء
والورق فى أوراقها خطباء
سنته قبل لمثلك الندماء
هيف القدود وأرضه زهراء
ساق أغن وروضه غناء
صدت وما غير الكؤوس جلاه
رى ونحن إلى المدام ظمماء
تحبى المدامة ما أمات الماء
تسرى بها فى روحى السراء
فأنتك توهم أنها شمطاء

وقال أيضاً:

منه يحي هلا على الصهباء
فالشرق قد قبض الدجنة باسطا
والغرب منه طعينة أحشاؤه
فانهض إلى خلس الصبوح فقد جلا
والترب مصقول الترائب نشره
والأرض ذات خمائل تمشى الصبا
رقصت قدود الدوح نصب عيونها
واعتل خفاق النسيم وقد جرى
والورد يقطر ماؤه من حوله
وغصونها نشوى رضاع غمامة
فانهض إلى فرص النعيم وخل عن
واغنم على وجه الربيع وحسنه
واهتف بأموات الصحة تعدهم
واستعجل الساقى الأغن يديرها
فإذا مشى فى الروض فوق كتيبه
فالنوم فى عينيه منه صبا
فاختص شرب الماء غيرى واسقنى

من كان قد أغفى من الندماء
للفجر طرة راية حمراء
بأسنة من أنجم الجوزاء
ورد الصباح بنفسج الظلماء
متأرجح يثنى على الأنواء
فيها فتثنيها من الخيلاء
وبكت جفون الديمة الوطفاء
متعسرا بمساقط الأنداء
والجسو لابس حلة دكنا
وسماع شد وحمامة ورقاء
أمر النديم بمطلق السراء
فى صدر يومك بهجة الصهباء
بلطف روح الروح فى الأحياء
فى مستنير الروضة الغناء
ثملا وأبدى الصبح تحت مساء
ألهمته أن يغنى بزر قباء
عذراء تأنف من قراع الماء

واحرص على قتلى بها فى روضة
واجعل غناءك لى لتحى مهجتى
موشية بمصارع الشهداء
بمديح موسى ذى اليد البيضاء
صفوان بن إدريس:

جساد الربا من بانه الجرعاء
يا ليت شعرى والزمان منقل
نوّان من دمعى وغيث سماء
والدهر ناسخ شدة برخاء
هل نلتقى فى روضة موشية
والورد فى شط الخليج كأنه
خفاقة الأغصان والأفناء
رمس ألم بمقلة رقاء

الشيخ أبو الفتوح نصر بن مخلوق اللخمي الأزهرى المعروف بابن
قلاقس:

شق الصباح غلالة الظلماء
وتكللت تيجان أزهار الربا
وانحل عقد كواكب الجوزاء
بغرائب من لؤلؤ الأنداء
وجرى النسيم فجر فضل رداءه
وعلا الحمام على منابر أيكه
سربال طابت زهرة الصهباء
ودعا وقد رق الهواء منمق ال
بالتاج يمشى مشية الخيلاء
لو لم يكن ملك الطيور لما انثنى
رقص الغصون ونغمة الوراق
فاشرب معتقة الطلا صرفا على
بدر تشعشع فى دجا الظلماء
تسعى بها خود كأن جبينها

تسعى بنار أضرمت في ماء
شرك العقول وآفة الأعضاء

هيفاء وطفاء النجوم كأنما
في سحر مقلتها وخمرة ريقها
وقال أيضاً:

إسانها سامح في دمع أبداء
رضاب طائفة بالرى وطفاء
لانت كما لامستها راحة الماء
بلامه من حباب الجم حصاء
كأنما هو سقط بين أحشاء
تطابق الحن بين العود والناء
بروح راح سرت في جسم سراء
نوافث السحر في أجفان حوراء
منازل الدن من ترجيع فأفاء
صاح معربد أعضاء وأعضاء
فالدهر في حربه تلوين حرباء

كم مقلة للشقيق الفض رمداء
وكم ثغور أقاح في مراشفها
فما اعتذارك عن عذراء جامحة
نضا عليها حسام المزج فامتعت
أما ترى الصبح يخفى في دجته
والطير في عذبات الدوج صادحة
فحصى بالكاس كسرى تحبى رمته
وعذ بمعجز آيات المدامة من
فما الفصاحة إلا ما تكرره
يديرها فاتن الألاحظ فاترها
وأعكف على جلس اللذات مغتتما

ابن نباتة من أبيات:

ولا تزيدا بتكرار الأسى داءى
كما تبسم عجبا ثغر لمياء

يا صاحبي أقلنا من ملامكما
هذى الرياض عن الأزهار باسمه

والأرض ناطقة عن صنع بارئها
فما يصدقها والحال داعية
راح غريب برؤياها ومشربها
من الكميت التي تجرى بصاحبها
بكف أغيد يحسوها مقهقهة
حسبي من الله غفر للذنوب ومن
إلى الورى وعجيب نطق خرساء
عن شرب فاقعة اللهم صفراء
حتى انتصبت إليها نصب إغراء
جرى الرهان إلى غايات سراء
كما تأود غصن تحت ورقاء
جدوى المؤيد تجديد لإثراء

المقر الفخرى ابن مكانس سقى الله ثراه يصف شجر سرح على شاطى
النيل، وهى قصيدة بديعة كلها غرر ودرر نسجها على منوال أبى الطيب
المتنبى:

يا سرحة الشاطى المنساب كوثره
حلت عليك عزاليها السحاب إذا
وإن تبسم فيك النور من جدل
حياك بالوارف المعهود منك فكم
وكم نزلنا مقيلا منك ما حمى ال
تظل من فيتك الفضفاض فى ظلل
ياطبة بدواء القفيظ عالمة
لاصوح الدهر منك الزهر وانجست
عصابة للشرب أموا روض زاهرة
على اليواقيت فى أشكال حصباء
نوء الثريا استهلت ذات أنواء
سقاك من كل غيم كل بكاء
لنا بظلك من أهوى وأهواء
هجير إذ حيث لا مرأى لخرباء
من الغمام يقينا كل ضراء
أنت الشفاء من الرمضا لذى الداء
عليك كل هتون الودق سوداء
تعزى لأكرم أخوال وآباء

ضرع النميرين من نيل وأنواء
نجم الربا ورقت عرشا على الماء
قلب الذى لم تنله غير سراء
كناس آرام بل أفناء درماء
فها تعادل فيه طيب مشتاء
فهى العجوز تهادى هدى مرهء
فى حلة من دمقس الريح دكناء
مسبح فى ظلام الليل دعاء
نار لشجوى بها لأحب لمياء
على الهواء وأحتتها على الماء
من المعانى بأفنان وأفياء
للهو كم أرج ما بين أرجاء
فنقطته ببيضاء وصفراء
يصبو لها كل ذى عقل وآراء
فصرت فى كل حال منهما الطائى
حسنا وحسبك من خضراء لفاء
همزن أفنانها أعطاف وطفاء
دكناء قرص على أعكان سمراء

خمائل الروض مشاها ومرضعها
فاستمهدت دوجها المخضل وافترشت
قريرة العين بالأواء باردة الـ
مقيل ندمان بل مغنى حمائم بل
لها مطارف ظل سجسج فمصيب
قديمة العده هزتها الصبا فصبت
وصوت بلبها الراقى ذرى غصن
كقرع ناقوس دبرى على شرف
خلية حين أحنيت الضلوع على
تهكمت بى فلم تحنى أضالعها
بديعة الحسن قد فاز الجناس لها
وقام عنها لسان الدهر ينشدنا
كم صفق الموج من أزهارها طربا
وكم طربت لما أبدته من ملح
وجدت بالتبر من مالى ومن أدبى
كأنها من جنان الخلد قد كملت
كأن أغصانها اللدن الرشاق إذا
كأن صمغتها الحمرا بقشرتها الـ

هضابه سفح واد رب أقناء
كأنها أذن مالت لإصغاء
عليه تدهش في حسن ولألاء
نهـر الأبله يزرى أى إزراء
فرند سيف نضته كف جلاء
رقرق عين بوجه الأرض شهلاء
أغصانها فترينا رقص هيفاء
بين الحدائق فى فيحاء زهراء
عيدانها فاله فى مغنى وغناء
لا ينطوون على حقد وشجنا
ود الأحبة فى ألفاظ أعداء
قرى المجون بقلب غير نساء

كأنها فوق دعص الموج إذ سفحت
مالت على النهر إذ جاش الخرب به
كأنما النهر مرآة وقد علقت
ذو شاطئ راق غب القطر فهو على
كأنه عند تفريك النسيم له
كنه حين يهدى زرقة وصفا
إذ شدوت حمامات الأراك على
من كل ورقاء فى الأفنان صادحة
ورق تغنت بجنت رقين على
باكرتها فى سراة من أصحابنا
تداعبوا بمعانى شعرهم فأروا
من كل شيخ مجون فى شباب فتى

القيراطى من قصيدة:

بالوصل ا أخشى به ما يرهب
من قبل أن يبدو لصبح أشهب
كدر ولا يخشى عذار أشنب
أضححت ترقص بالسماع وتطرب

لله ليل كالنهار قطعته
وركبت منه إلى التصايب أدهما
أيام لا ماء الخدود يشوبه
كم فى مجال اللهو لى من جولة

وأقمت للندمان سوق خلاعة
 وذكرت في عليا دمشق معشرا
 قوم بحسن صفاتهم وفعالهم
 أشفاق في وادي دمشق معهدا
 ما فيه إلا روضة أو جوسق
 وكان ذاك النهر فيه معصم
 وإذا تكسير ماؤها أبصرته
 وشدت على العيدان ورق أطربت
 فالورق تشدو والنسيم مشبب
 وحكت بقلبي من عسال جنة
 ولكم طربت على السماع بجنكها

سیدی ابو الفضل بن وفا من أبيات :

وللکؤوس ابتسام بعد قهقهة
 في روضة قد تهادتها الصبا دولا
 طلاس العطف من أغصانها حكمت
 تحكمت نسמת الروض فابتدعت
 والظير تهتف والأغصان مائلة
 كأنما قضب البانات إذ خطرت

وللغيوم بكاء بعد تقطيب
 ورشقتها بأنواع الترايب
 فلا قبول إليها غير مجلوب
 تسلسل الماء في دور الدواليب
 بكل زوج بهيج الحسن مخطوب
 عرائس زهيت بالحسن والطيب

صرت وجبين الجو بالطل يرشح
فقابلت من أسماطها لزهـر تجتلى
بعـيـث الربا تخضـل والدوـح ينثى
وفى طى أبراد النسيم خميلة
تضاحك فى مسرى العواطف عارض
وتورى به كف الصبا زند بارق
تفرس منه البدر فى متن أشقر
على حين أوراق الصبا الغض نضرة
وثوب الغوادى بالبروق موشح
وعاينت من أمراطها الزهر ينفح
ودمع الحيا ينهل والطير تصدح
بأعطافها نور المنى يتفتح
مدامعه فى وجنة الروض تسفح
شـرارتـه فى فحمة الليل تقدح
تلاعب عطفـيه النسـيم فيرمح
وورق التصابى بالصباة تفصح

وقال أيضاً:

لا تشن عطفك إن الروض قد جيداً
إذا تبسم ثغر المزن عن يقق
وإن تنائر در منه فاجتله
واستنطق العود أو فاسمع غرائبه
يشدو وينظر أعطافاً منمقة
حلت عرى النوم عن أجفان ساهرة
تفجرت وعصا الجوزاء تضربها
يا ثعلب الفجر لا سرحان أوله
ما عطل القطر من نواره جيداً
فانظر أفى وجنات الورد توريدا
ببسم الأتحوان الغض منضوداً
من ساجع لحنه يسترقص العوداً
كأنه آخذ عنها الأغاريداً
رد الهوى هذبها بالنجم معقوداً
فاذكرتنى موسى والجلاميداً
عند الثريا فقد صادفت عنقوداً

الصفى الحلى :

ورد الربيع فمرحبا بوروده
وبحسن منظره وطيب نسيمه
فصل إذا افتخر الزمان فإنه
يغنى المزاج عن العلاج نسيمه
والورد فى أعلى الغصون كأنه
والياسمين كعاشق قد شفه
والنرجس الغض الجنى كأنه
والسحب تعقد فى السماء مآثما
ندبت فشق لها الشقيق جيوبه
والغيم يحكى الماء فى جريانه
وبنور بهجته ونور وروده
وأنيق مائسه ووشى بروده
إنسان مقلته وبيت قصيده
باللطف عند هبويه وركوده
ملك تحف به سسرة جنوده
جور الحبيب بهرجره وصدوده
طرف تنبه بعد طول هجوده
والأرض فى عرس الزمان وعيده
وأزرق سوسنها للطم خدوده
والماء يحكى الغيم فى تجعيده

وقال ابن عبد الظاهر :

وبطحاء فى واد يروكك روضها
بها فاض نهر من لجين كأنه
كأن حصاه إذا بدا منه أبيض
وإلا فبرد بالطلال مسهم
وما لاح فى جنبه نبت وإنما
ولا سيما إن جاء غيث مبكر
صفائح أضحت بالنجوم تسمر
واحمر دمع فى خدود يثر
وإلا فطرس بالتجعده يسطر
تبدى عذار منه فى الخد أخضر

تسارق أوراق الغصون فتنتظر
حياء لديه وجهها وهو أصفر
يأذيال كثبان الربا تتعثر
به الروض يحيى وهو لا شك جعفر

وفيه ربيع للنزيل وجعفر
وكم مثلها فارقتها وهي تصفر
إذا سد منها منخر جاش منخر
ثلاث شخوص كاعبان ومعصر
وطولت حتى إن أنى أقصر

حوى فضة من نوره ونضارا
خرائد أسبلن الشعور سكارى
جفون محب بالدموع حيارى
كما نم بل حاكى لديه عذارا
قد اصفر إذ ولى الحبيب وسارا
وعذب قلبى فى هواه وحرارا

وكم غازلته للغزاة مقلة
وتبصر منه كل حسن فينبرى
إذا فاخرته الريح ولت عليه
به الفضل يبدو والربيع وكم غدا
ابن نباتة مضمناً من أبيات:

خلى كم روض نزلنا فناؤه
وفارقته والطير صافرة به
إلى أعين بالماء نضاخة الصفا
ندامى من خود وراح وقينة
قضيت لبانات الشبيبة والصب

عبد الرحمن المهدي:

وروض به أنواع نور تفوقت
كأن النخيل المائلات من الصبا
كأن جفون الترجس الغض وسطه
كأن اخضرار الأس شارب أمرد
كأن بهار الروض صب متميم
كأن الأقاحى نغر من شق مهجتي

كأن انتشار الطل فيه مدامعى على شادن فى القلب أضرم ناراً
كأن نسيم الريح نشر قرنفل وأنفاس مسك قد أعار عذاراً
فله أيام قطعنا بقسربه أدرنا به كاس السرور فداراً
ذو الوزارتين أبو بكر محمد بن عمار المغربى وزير ابن عباد:

أدر الزجاجاة فالنسيم قد انبرى والنجم قد صرف العنان عن السرى
والصبح قد أهدى لنا كافوره لما استرد الليل منا العنبراً
والروض كالحسنى كساه زهره وشيئا وقلده نداءً جوهراً
أو كالظلام زها بورده خجلاً وتاه بآسهن معذراً
روض كان النهر فيه معصم ظاف أظل على بساط أخضراً
وتهزه ريح الصببا فتخاله سيف ابن عباد بيدد عسكراً

بدر الدين الذهبى:

ترنح عطف البان فى الحلل الخضر وغنى بألحان على عوده القمرى
ورافت أزاهير الحدائق بالضحى نواظر عن أحداق نوارها النضر
وأشرق خد الورد بيدي نضارة وأشرق جيد الغصن فى لؤلؤ القطر
وبات سقيط الطل فى كل روضة ينبه فى أرجائها ناعس الزهر
وقد غض طرف الترجس الغض من حيا به والأقاحى منه مبتسم الشجر
وما ذهب شمس الأصيل عشية إلى الغرب حتى أذهبت فضة النهر

وقد راق كحل الظل فى مقل الغدر
صاغت لها الأحداق طوقا على نحر
وأرخت لها أوراق أستارها الخضر
على فرش الأزهار فى آخر العمر
عليه الصبا أثواب روضاتها النضر
عليه وللأنواء من دمعة تجرى

ودلت تغاريد الحمام على لفجر
بها الدهر واجهد أن تموت من السكر
يؤول إلى التكدير فى آخر العمر
إليك يبشر فانتهاز فرصة البشر
بأيدي المنى ما بين أوراقها الخضر
مزاحا وغلطنا بها نوب الدهر
جهارا وسلمنا العقول إلى الخمر
كما يلعب الفيروزج الغض بالدر
كما انحط جيب المرط عن غادة بكر
إلى الليل بين العود والنأى من عذر
مطاف بدور التمس بالألجم الزهر

وغنت قيان الطير فى كل أيقة
قيان كساها الخد ديباج وجهه
أقامت لها دوح الأراك أرائكا
وأمسى أصيل اليوم ملقى من الضنا
بكته حمامات الأراك وشققت
فكم من نحيب للحمامم بالضحي
الكرخى الحبار:

تنبه فقد نم التسيم على الزهر
تيقظ لساعات السرور إذا سخا
وخذ صفوة الدنيا فإن نضارها
إذا ما ثغور الزهر يوما تبسمت
رعا الله أيام جنينا ثمارها
ليالى أعطينا الخلاعة حقها
خلعنا على اللذات أردية الهوى
ولاح على الحرياء فيم مزرد
يحف فتبدو الشمس من فرجاته
أنا لك إن لم تعمل الكاس بكرة
يطوف علينا بالزجاجة غلمة

بلوغ الغنى من بعد نازلة الفقر
تجس فؤادى أو تغير على صبرى

وحوراء تلهينا بصوت كأنه
إذا جست المثنى تخيلت أنها
ابن الزين لبيكم:

عقود الفرط الحسن تزهو على الدر
فجل همومى بالمحاسن عن صدرى
وألقت على رأسى نشارا من الزهر
وأس وريحان تضسوع بالنشر
وماست بفرط الحسن فى الحلل الخضر
وقد صفقت من فرحة راحة النهر
من النور فيها الطير من طرب يقرى
أمامى بشجو من فصاحته القمرى
تفت رأيت الماء فى خدمتى يجرى

سقى الله دوحا كللته يد القطر
أتيت له كيما أنزه ناظرى
ومالت به الأغصان نحوى وسلمت
ومدت لأقدامى نبات شقائق
وشالت على رأسى الغصون عصائبا
وغنت قيان الطير والريح شبيب
وقد رفعت من فوق رأسى قبة
وقد ظل كالشاوش يزعق فرحة
وأصبح كالسلطان حقا وحيثما الـ

ابن نبيه وأجاد:

ودب عذار الطل فى وجنة النهر
إذا مر فى تلك الرياض فعن عذر
فما برئت إلا على رقية القمرى
بوجنة من أهواه قد حرت فى أمرى
فألثمه شوقا إلى لعس الثغر

تبسم ثغر الزهر عن شنب القطر
فإن رق واعتل النسيم صبا
توسوست الأغصان عند هبويه
يخادعنى الورد الجنى وإننى
ويبسم عن زهر الأقاح بنفسج

الشيخ تقي الدين بن حجة سامحه الله بفضله وأجاد:

هواى لسفح القاسمية والجسر
وفقرى إلى رشق الرضاب الذى خلا
ولى ثم بين المعهدين معاهد
يروق امتداد الجسر والقصر فوقه
قد أصبحت تلك الجزيرة جنة
تفوق عيون الزهر بين شطوطها
وإن جرت فى الرضاء بين غصونها
وعاص رجب الصدر قد حر طائعا
وقد أشبه الخنساء نوحا وأنة
فيا جيرة العاصى إذا ذقت ماءكم
ولولا بقايا طعمه فى مذاقتى
وكم رام هذا البحر يشبه لطفه
فأها على وادى حماة تأسفا
فكم مر لى فيها خلاوة ليلة
وفى غيرها قد صرت أقضى لياليا
إذا هب تدر وإ ذلك من عذرى
من النهر خلى سائى الدمع فى نهر
بها هدمت تلك المعاهد من صبرى
فيحل طباق العيش بالمد والقصر
ألم تنظروا الأنهار من تحتها تجرى
عيون المها بين الرصافة والجسر
جلبن الهوى من حيث لا أدرى ولا أدر
ودولابه كالقلب يخفق فى الصدر
وهادمعه قد صار يجرى على صخر
أهيم كأنى قد ثملت من السكر
لما ظهرت هذى الخلاوة من شعرى
فقلت انزلوا بالله فى ساحل البحر
خلاف لمن قد قال آها على مصر
فكانت شبيه الخال فى وجنة العمر
تمر بلا نفع وتحسب من عمرى

وقال آخر:

أبدت يد الغيث سر الأرض للبشر
أما ترى الروض قد لاحت شقائقه
وقام نرجسه وهنا على قدم
لا يطبق الزهر أجفانا على غمض
والياسمين كأقراط اللجين بدا
كأنما برك النيلوفر ابتسمت
كأنما زهر الخسيري حين بدا
كأن صفرة نوار البهار حكت
وكم تبسم فيه النور من طرب
كأن نارنجيه إذ لاح مستسقا
كأن أغصانه لما قطعن به
وانظر إلى شجر الليمون حين زهت
تحكى حقاقا من الكافور قد صبغت
كأنما المشمش اللوزى على قضب
كأما الموز إذ هب النسيم به
كأن خارجه تبر وداخله
كأن ما اعوج من دوح النخيل به

فالأرض فى حلل من صنعة المطر
تحكى خدود مها أدمين بالنظر
كأنه من بياض الصبح فى حذر
ولا يمل من التسهيد والسهر
فعطل الريح من نشر له عطر
عن اليواقيت والعقيان والدر
أثار مص غدت فى خد ذى خفر
صبا رمته صروف الدهر بالغير
فجاء يضحك عجباً من بكا المطر
نهود غيد بدت فى أحسن الصور
صوالج نكست تهوى إلى أكر
لما تضيع رباها على الشجر
بزعفران فراقت كلما بصر
جلجل التبر فى قضباه النضر
غيد تمايلن فى خضر من الأزر
قند مشوب بعذب بارد خصر
عجائز قد حناها الدهر من كبر

الصفى الحلى وهى من المفردات:

من نفحة الصور أم من نفحة الصور
أم من شذا نسمة الفردوس حين سرت
أم روض عطرك أعدى عطر نفحته
والريح قد أطلقت فضل العنان به
فى روضة نصبت أغصانها وغدا
والماء ما بين مصروف وممتنع
والريح تجرى رخاء فوق بحرتها
قد جمعت جمع تصحيح جوانبها
والريح ترقم فى أمواجه شبكا
والنرجس الغض لم تغضض نواظره
كأنه ذهب من فوق أعمدة
والأقحوان زها بين البهار بها
وزامر القوم يطوينا وينشرنا
وقد ترنم شاد صوته غرد
شاد أنامله ترضى الأنام له

أحييت يا ريح ميتا غير مقبول
على بليل من الأزهار ممتور
طى النسسيم بطى منه منشور
والغصن ما بين تقديم وتأخير
ذيل الصبا بين مرفوع ومجرور
والظل ما بين ممدود ومقصور
وماؤها مطلق فى زى مأسور
والماء بجمع فيها جمع تكسير
والغيم يرسم أنواع التصاوير
فزهرة بين منقض ومزور
من الزمرد فى أوراق كافور
مثل الدراهم ما بين الدنانير
بالنفخ فى الناي لا بالنفخ فى الصور
كأنه ناطق من حلق شحرور
إذا شدا وأجاب اليم بالزير

فرش الفضاء بأحمر وبأصفر
حلل تعد إذا اجتهدت مقصر
هذى الرياض كأنهن عرائس
فى جوهر فاق الجواهر قيمة
سر أسرته السحائب فى الثرى
زمن أغر فلو شربت بطيبه
والسرو تثنيه الرياح لواعبا
كالجنند فى خضر الملابس حاولوا
زمن متى أبصرته وكففت عن
وافى على أثر الشتاء كأنه
فكأن ذلك كان وجه مهدد
ورد كوجنة كاعب قد موزحت
فكأنما النارنج فى أغصانه
وكأن زهر الباقلاء دراهم
والنرجس الريان بين رياضه
والجلنار يربك فى أثوابه
وبدت لن حلل الربيع المزهر
فى وصفها وتكون غير مقصر
يختلن بين تمايل وتبختر
لو أنه يبقى بقاء الجوهر
فأذاعه فأذاع أحسن منظر
طيب الجنان لكان أطيب متجر
من فوق جدول مائه المتفجر
أمرأ فبين مقلص ومشمر
خلع العذار بحسنه لم تعذر
إقبال جد بعد أمر مدبر
وكأن هذا جاء وجه مبشر
فتراجعت خجلى بفرط تحير
أكر خرطن من العقيق الأحمر
قد ضمخت أوساطها بالعنبر
يرنو بعين الباهت المتحبر
نوعين بين مزعفر ومعصفر

هذا الربيع أنى بأحسن منظر
فانهض إلى داعى السرور واخلنى
واسرق بنا خلس الزمان مبادرا
والروض تقلقه الصبا فتشير من
وكان مصفر الأصيل خلاله
وبدا الهلال ليلتين كسأه
والماء يبدى للنسيم تملقا
والليل يختلس الضياء كعصبة
يختال بين مديح ومعصفر
مما يقال عذرت أم لم تعذر
والدهر فى غفلاته لم يشعر
أرجائه نفحات مسك أذفر
ورس يذر على بساط أخضر
فتر حوى تفاحة من عنبر
ويسير بين تدرج وتكسر
من آل حام خلف آل الأصفر

شمس الدين الكوفى:

روح الزمان هو الربيع فبكر
هذا الربيع يبيع من لذاته
فافرح به فلفرحه بقدومه
والكون بتهج وخفاق الصبا
والغيم ييكى والأقاحى باسم
والسروا عبث النسيم فهز أع
وكأنما القداح فستق فضة
وانهض إلى اللذات غير مفكر
أصناف ما تهوى فأين المشتري
رفل الشقائق فى القباء الأحمر
يحىى القلوب بنشره المتعطر
لبكائه كتبسم المستبشر
طاف الغصون يمس ميس موقر
يهدى إليك أريج مسك أذفر

وكأما المتشور فى ألوانه
وترى البهار كعاشق متخوف
وكأما النارج فى أغصانه الـ
وكأما الخشخاش قوم جاءهم
فتنوا ملابسهم لفرط سرورهم
فتعلقت أذيالهم بأكفهم
والطل من فوق الرياض كأنه
وترى الربا بالنور بين متوج
ورياضها بالزهر بين مقرطق
والورد بين مضعف ومشتف
والزهر بين مذهب ومفضض
والبسر بين مطيب وممسك
والورق بين مرجع وموجع
ومغرد ومردد ومعدد

ابن مرج الكحل الأندلسى:

قم فاغتبقتها راحة ذهبية
وعشية قد كنت أرقب وعده
من راحتى أحوى المرأشف أحور
سمحت به الأيام بعد تعذر

تهدى لنا شقها شميم العنبر
والشمس ترفل فى قميص أصفر
بمصنل من زهره ومعصفر
سيف يسل على بساط أخضر
إلا لفرقة حسن ذاك المنظر

نلنا به آمالنا فى روضة
والورق تشدو والأراكة تنثنى
والنهر مصقول الأباطح والربا
وكأنه وكان خضرة شطه
ما اصفر وجه الشمس عند غروبها
ابن قلاقس:

فالروض يضحك عن مباسم زهره
دوحا لوت عطفيه راحة سكره
ينجذب تقطيب الظلام يبشره
فرمى لها بملاءة من فجره
حتم على الظرفاء طاعة أمره
طربا فشق صداؤه عن صدره
أذيال حلتته لفائض بحره
تننى الخليع إلى السرور بأسره
وكأنما هو فى جوانب قصره
إلا وقلده الحبيب بادره
من ريقه وحبابها من ثغره

سفحت عيون الغيم أدمع قطره
وسرى النسيم بقهوة حبى بها
وانشق جيب الأفق عن متألق
وكأه ظن النجوم كواعبا
ودعا بحى على الصبوح مومر
غنى فهز قوام قسيس اللجى
وارتاع من ماء الصباح فشمرت
فاقذف شياطين الهموم بأنجم
بزجاجة حياك منها قيصر
ما ألبسته الراح ثوبا مذهبا
يسقيها رشأ كان مذاقها

وقال آخر:

وللتصابي في الصبا صبابة
لا يخطر الهم بنا إن خطرت
لله ذاك العيش والعصر الذي
بروح من راح إلى مدامة
هذا وكم من روضة باكرتها
كأنما طيب الحديث بيننا
كأنما نرجسها نواظر
كأنما الورد خدود لظمت
كأنما البنفسج الغض حكي
كأنما شقيقها مطارف
كأنما السوسن في اختلاطه
كأنما النارج في أفنائه
كأنما أترجها وصائف
كأنما الطير على أفنائها
كأنما ناعورة غنت لنا
كأنما غدرانها صوارم
كأنما السواق في صفيره

وللهوى منا قلوب ونظر
حوادث الدهر بنامع من خطر
عاصرت في أيامه عصر العصر
يديرها من خده الخد عصر
مع فتية مثل المصاييح غرر
وطيب أيام مضت مثل السحر
ترنو وقد أرقها طول السهر
في يوم توديع محب لسفر
قرص محب في خدود أو أثر
قد ظفرت فيها من المسك وبر
شيب على ذاك الشباب قد شهر
نار لمن ينظرها تبدي شرر
أو مدنف حلف غرام وفكر
ستائر ليس لها منها ستر
معدد يبكي على إلف هجر
والموج فيها مثل تكسير الشعر
بلابل تزعق في أعلى الشجر

تساكلها قل أنت مجتهد مخطي
فإن أحاديث الصحيحين ما تخطي
فما الشام بالخلخال أو مصر بالقرط
عقودا لها العاصي رأبناه كالسمط
يسرحها كف النسيم بلا مشط
وراح بنقش النبت يمشى على بسط
وأبدت لنا وردا على ساقاة البسط
مطيبة بالدمع منهلة النقط
بصفحتها لا زلت واضحة الخط
ومن شكل أنواع الأزاهر فى ضبط
وهمت بها لا بالمحصب والسقط
وفى غيرها لم أرض بالملك والرط
وأوطان أوطارى بها ورضى سخطى
برغمى وهذا الدهر يسلب ما يعطى
جرى مدمعى نهرا على ذلك الشط
حماها لقد أدمى فؤادى بالشرط
إلى غيرها صبرا على الشيل والخط
منظمة لكن قضى الدهر بالفرط

ومن يجتهد فى أن بالأرض بقعة
وصوب حديثى مائها وهوائها
بمعصمها إن دار ملوى سوارها
تنظم بالشطين در ثمارها
وترخى علينا للغصون ذوائبا
ومذمد ذاك النهر ساقا مدملجًا
لويثنا خلاخيل النواعير فالتوت
سقى سفحها إقل دمعى سحابة
وبنا أسطر النبت التى قد تسلسلت
ولا زال ذاك الخط بالطل معجما
لو بت عنانى فى هواها عن اللوى
ولذ عناق الفقر لى بفنائها
منازل أحبابى ومنبت شعبتى
نعمت بها دهرا ولكن سلبته
ومذشط عنى شكلها وتباعدت
وقد جاء شرط البين أنى أغيب عن
وحط على الدهر عمدا وشالنى
وسبحة جمع الشمل كانت لنا بها

أمثل شوقا شكلها فى ضمائرى
وقد سار يمشى الهم نحوى بسرعة
وأصبح نظمى راجعا بى إلى ورا
وما ذاك إلا أن أيام فكرتى
فتتبع عيني ذلك الشكل بالنقط
فيا ليته لو كان فى مشيه يبطى
كأنى فى الديوان أكتب بالقبطى
غدت بعد تسريح العلاء بلا مشط

سىدى أبو الفضل بن وفا قدس الله روحه :

ومن قائل والماء فى الروض وافر
زها الروض حسنا وازدهى فكأنما
جوامع اللذات يخطب حسنها
حمائمها قراؤها وغصونها
وبين غراسات الجنان تشاجر
وبين غسواده بكاء وتراحم
مديد وظل الكرم فى الروض وارف
على الأرض ومن وثى السماء مطارف
على أنها للهوايضاً مقاصف
كراس وأوراق الغصون مصاحف
وبين طيور الأيك فيه تصانف
وبين غصون البان فيه تعاطف

الصاحب كمال الدين بن نبيه :

الزهر بين متوج ومشتف
والقصر غناه الحمام فهزه
والظل يسبح فى القدير كأنه
قس باسماء الأرض تعلم أنها
أحداق نرجسها كخذ شقيقها
والأرض بين مديح ومفوق
طربا وحياه الغمام بقرقف
صدأ يلوح على حسام مرهف
بكواكب الأزهار أحسن زخرف
مبهوتة لجمالها لم تطرف

كأنما حسن السماء حلة
 كأنما البدر وقد لاح لنا
 كأنما الشمع حكى ما بيننا
 كأنما الراح إذا ما نزلت
 كأنما الكاسات فى مجلسنا
 كأنما حس قنائنا حكى
 كأنما العود حكى مترجما
 كأنما المزمار فى ترجيعه
 كأنما طبولنا إذ قرعت
 كأما الشيز حكى صباحه
 كأنما طيب ليال سلفت
 جاد لنا الدهر بها تكلفًا

قد نسجت فيها زفانين الصور
 بعض مرآة من غلاف قد ظهر
 وجهه محب وله الحب هجر
 جسم من التبر إلى الكاس انحدر
 كواكب تهوى وفى الجسود آخر
 مقهقها يضحك من شىء نظر
 لسانه ينطق عن كل وتر
 عصابة تتلو المزامير سحر
 أجراس أجمال يسرون سحر
 ضفادع تصرخ فى ضوء القمر
 من صفو ذاك العيش ملح بالبصر
 ومن طباع الدهر صفو وكدر

ظافر الحداد وأجاد:

من لى بدهر كأن لى بوصاله
 والعيش مخضر الجناب أنيقه
 والروض فى حلل النبات كأنما
 والماء يبدو فى الخليج كأنه

سمحا ووعدى عنده منجوز
 ولا وجه اللذات فيسه بروز
 فرشت عليه دمالج وخرور
 أيم لسرعة سيره محفوز

والزهر يوهـم ناظريه كأنما
فأقاحه ورق منصور الندى
والروض فيه تغازل وتمايل
والطير فيها بالغصون تصارح
وكأنما القمري ينشد مصرعا
وكأنما الدولاب يرمز كلما
عفيف الدين التلمساني:

نادم عيون النرجس
واستجل بكر مداممة
من فوق بسط بنفسج
خلعت خليعا واغتدت
لاعـيش إلا بالمداد
ومغـازلات نواظر
من كل ظبي نافر
بعـد الوصال ويدعى
بخـدود ورد الأكـؤس
معشوقة للأنفـس
مـرقومة بالسندس
بـجديد حسن تكتسى
مـة والنديم الأكـيس
نعـس وإن لم تنعـس
مستوحش مستأنس
نسيان ذاك وما نسي

الشيخ تقي الدين بن حجة سامحه الله :

بوادى حماة الشام عن أيمن الشط
بلاد إذا ما ذقت كوثر مائها
وحقك تطوى شقة الهم بالبسط
أهيم كأنى قد ثملت باسفنط

والطل في زهر الأقاح كأنه
راق الزمان وراق كاس مدامنا
فمزجت ذاك بهذه وشربتها
وجنيت من وجناته لما استحي
ورنا إلى بطرفه فكأنما
بتنا وقد لف العناق جسومنا
فخر الترك أيدمر المحيوى:

الروض مقتبل الشبيبة مونق
نثر الندى فيه لآلىء عقده
وارتاع من مر النسيم به ضحى
والغصن مياس القوام كأنه
والطير ينطق معربا عن شجوه
غردا يغنى للغصون فتثنى
والنهر لما راح منه مسلسل
فتمل أيام الربيع فإنها
خضل يكاد غضاره يتدفق
والزهر منه متسوج ومناطق
فغدت كمائم نوره تتفتق
نشوان يصبح فى السعيم ويغبق
فيكاد يفهم منه ذاك المنطق
طربا جيوب الطل منه تشقق
لا يستطيع لرقص ظل يصفق
ريحانة الزمن التى تستشقق

الشيخ شمس الدين بن الصائغ الحنفى:

أدمشق لا بعدت ديارك عن فتى
اشتاق منك منازل لا أنسها
أبدا إليك بكله يتشوق
إنى وقلبي فى ربوعك موثق

أنى اتجهت رأيت دوحا ماؤه
والريح تكتب والجداول أسطر
والطير يقرا والنسيم مردد
ومعاطف الأغصان هزتها الصبا
وكأن زهر اللوز أحداق إلى الـ
وكأن أشجار الرياض سرادق
والورد بالألوان يجلو منظرا
فبلابل منها تهيج بلابلا
وهزازه يصبو إلى شحروره
وكأنما ف كل عود صادق
والورق فى الأوراق يشبه شجوها
تتلو على الأغصان أخبار الهوى
يا سائرا والريح تعثر دونه
إن جئت من وادى دمشق منازل
بالجبهة الغراء والنهر الذى
ورأيت ذلك الجامع لفرد الذى
قل للفتى عبد الرحيم بأنى
إن كنتموا عرضتموا بتشوق
متسلسل يعلو عليه جوسق
خط له نسخ الربيع محقق
والغصن يرقص والغدير يضفق
طربا فذا عار وهذا مورق
زوراء من خلل الغصون تحدق
فى ظلها من كل لون نمرق
ونسيمه عطر كمسك يعبق
وكذاك أنواب الشقيق تشقق
ويجاوب القمري فيه مطوق
غرد حلا مرموزه والمطلق
شجوى وأين من الخلى الموثق
فيكاد ساكت كل شىء ينطق
والبرق يبسم إذ به يتألق
لى نحوها حتى الممات تشوق
يزهو به القصر المنيف الألبق
فى الأرض طرا مثله لا يخلق
أبدا بحسن وداده أتحقق
وحياتكم إنى إليكم أشوق

ذو الوزارتين أبو الوليد محمد بن عبد الله بن زيدون:

إنى ذكرتك بالزهراء مشتاقا
وللنسيم اعتلال فى أصائله
والروض عن مائه الفضى مبتسم
يوم كأيام لذات لنا انصرمت
لهو بها يستميل العين من زهر
كأن أعينه إذ عاينت أرقى
ورد تألق فى ضاحى منابته
سرى بنافحة نيلوفر عقب
كل يهيج لنا ذكرى تشوقنا
لو كان وفى المنا فى جمعنا بكمو
والأفق طلق ووجه الأرض قد راقا
كأنما رق لى فاعتل إشفاقا
كما حللت عن اللبات أطواقا
بتنا لها حين نام الدهر سراقا
حال الندافيه حتى مال أعناقا
بكت لما بى فجال الدمع رراقا
فازداد منه الضحى فى العين إشراقا
وسنان نبه منه الصبح أحداقا
إليك لم يعد عنها الصدر إن ضاقا
لكان من أكرم الأيام أخلاقا

محيى الدين بن قرناص:

وقف القضيب من الصباية مطرقا
وأصابه مثل التوسوس بالصبا
وسرى النسيم إلى الحدائق خلصة
فرض الهموم إذا جمحن بروضة
وامزج لنا الخمر العتيق فإنه
حتى أضرب به الهوى فتعلقا
فغدا عليه عزاره يتلو القرى
حتى أحس به الحمام فصفقا
رقت ورق بها شراب روقا
تبر وأجوده الذى قد عتقا

والشمس قد أَلقت طرازا مذهبا من فوق نهر مثل كم أزرقا
المولى الفاضل شهاب الدين الحجازى من أبيات:

يا ليلة غراء قد جمعت لنا شملا على بها الزمان تصدقا
فى روضة فيها النسيم مشبب والورق تشدو والغمام لنا سقا
عند الصباح رأيت نما ما بدا مع حمرة فى الروض قلت هى الشقا
ومراقبا من نرجس قد راعنى ومن البنفسج لى عدوا أزرقا

أبو عمرو العلقمى الغزى:

إلى المدام ولو قمنا على الحدق فى غرة الصبح أو فى ظلمة الغسق
اليوم أول أذار تمل به لم يبق من لذة الدنيا سوى الرمق
أما ترى الأفق قد مد الحجاب من الـ نعيم الرقيق وقلب البرق فى خفق
والروض يضحك فى أفنائه عجبا والطير فوق الغصون الخضر والورق
كأنما الغصن إذ هب النسيم به حيران حمل أشواقا فلم يطق
والخمر تجلى علينا فى الكؤوس كما نظمت فى السلك حبات على سق
من كف ظبى غرير الطرف مكتحل بالغنج أحوى مليح الخلق والخلق
كأنما عقربا صدغيه قد عقلا خوفا على خده المعشوق بالخلق

ابن قلاقس :

الحق بنفسج فجرى وردتى شفق
قد عطل الأفق من أسماط أنجمه
قم هات جامك شمسا عند مصطبح
واقسم لكل زمان ما يليق به
هب النسيم وهب الريم فاشتركا
واسترقصتنى كاسترقاص حاملها
فظلت بالكاس أغنى الناس كلهم
يسعى بها رشأ عيناه مذ رمقت
حبابها وأحاديثى ومبسمه
حتى إذا أخذت منا بسورتها
ركبت فيها بحارا من عجائبها

كافورة الصبح فتت مسكة الغسق
فاعقد لخمرك قينا حلية الأفق
وخل كاسك نجما عند مغتبق
فإن للزند حليسا ليس للعنق
فى نكهة كنسيم الروضة العبق
مخضرة الورق فى مخضرة الورق
فالخمر من عسجد والكاس من ورق
لم يبق فى ولا فيها سوى الرmq
ثلاثة ملها من لؤلؤ نسق
مأخذ النوم من أجفان ذى أرق
إنى سلمت وما أدرى من الغرق

الصفى الحلى :

فيروزج الصبح أم ياقوتة الشفق
أم صارم الشرق لما لاح مختصبا
ومالت القضب إذ مر النسيم بها
والغيم قد نشرت فى الجو بردته

بدت فهيجت الورقاء فى الورق
كما بدا السيف محمرا من العلق
سكرى كما نبه الوسنان من أرق
سترا تمد حواشيه على الأفق

والطير تسجع من تيه ومن شبق
والماء فى هرب والغصن فى قلق
كما تكلل خد الخود بالعرق
ما بين مختلف منها ومتفق
وللمياه ديب غير مسترق
والنرجس الغض فيها ساهى الحدق
أو أصفر فاقع أو أبيض يقق
نشر تعطر منه كل متشقق
فاكسبت أرجا من نشره العبق

والسحب تبكى وثر البرق مبتسم
فالطير فى طرب والسحب فى حرب
وكلل الظل أوراق الغصون ضحى
وأطلع الطير فيها سجع منطقته
والظل يسرق بين الظل خطوته
وقد بدا الورد مفترا مباسمه
من أحمر ساطع أو أخضر نضر
وفاح من أرج الأزهار طيب شذا
كان ذكر رسول الله مر بها

ابن وكيع التيسى :

ناهيك من يوم أغر محجل
خلعا فين ممسك ومصنل
فدت لعين الناظر المتأمل
بمنظم من لؤلؤ ومفصل
يرنو إليك بطرف أغيد أكحل
فتراه متقبا بحمرة مخجل
وجه الخريدة فى الخمار الصنل
نغمات معبد فى النقييل الأول

يوم أتاك بوجهه المتهلل
خلع الغمام على اخضرار سمائه
وعلا على الأشجار قطر سمائها
تحكى قباب زيرجد قد كللت
وألك زهر الباقلاء كأنه
والرد يخجل كل نور طالع
وحكى بياض الطل فى كافوره
وتغردت أطيابه فحككت لنا

أغنتك عن صبح هناك وجلجل
فى كل أنواع الملابس تنجلى

من كل صافية الصفير إذا دعت
وكأما الدنيا عروس أقبلت
السراج الوراق:

وأمسك من سيف البروق بقائم
فأول ما شقت جيوب الغمام
ثغور الأقاحى من ضفاه الكمام
دموع الأغانى فى الحدود النواعم
صبا أيقظت أنفاسها كل نائم
نسيم مشت ما بيتنا بالمنائم
لعينك سرا لم بيت عند كاتم
كما قد أجاد القين صفحة صارم
بغلة ظمآن إلى الماء هاشم
فقل ومثير الرقص شدو الحمام
عقدن من الأطواق مثل التمام

وجر خطيب الرعد ذيل سواده
وأسمع من لا كاد يسمع وعظه
وأضحك دمع الغيث من زهر الربا
وفوق جنى الورد ظل كأنه
وغضت عيون النرجس الغض فأنبرت
نسيم بأسرار الرياض فحبذا
ويا حبذا نهر أبان ضميره
جلت صد الأقداء عن مته الصبا
ومال إليه الغصن ريان ناعما
فإن قيل تصفيق الغدير لرقصه
ولما رأين النهر راح مسلسلا

وقال أيضاً:

نظاما وحسنا عقدها وابتسامها
وردت فرد الروح فى سلامها

وليلة زارت والشربا كأنها
وحيت فأحيت ما أمات صدودها

وكم ليلة سامرت فيها نجومها
كأن الدرارى والهلال ودارة
حيا طفا من فوق زورق فضة
كأن نجومها فى المجرة خرد
كأن رياضها قد تسلسل ماؤها
كان سنا الجوزاء إكليل جوهر
كان له النسرين فى الجو غلطة
كان سهيلا والنجوم وراءه
كان الدجى هيجاء حرب نجومه
كان النجوم الهاويات فوارس
كان سنا المريخ شعلة فارس
كان السهى صب سها نحو إلفه
كان خفوق البرق قلب متيم
كان ثريا أفقه فى انبساطها

ابن قلاقس:

يا مرسل الريح الصقيل سنانه
هايك شمس الراح يسطع نورها
امسك فليس اليوم يوم طعان
من خلف سحب أبارق وقناني

بيدى غصبت النون من رمضان
حسبى التى بأنامل الوسنان
بالياسمين شقائق النعمان
عذب الغصون بأعذب الألحان
وكان أصوات الطيور أغانى

وهلال شوال يقول مصدقا
لا تسقنيها من محاجر نرجس
فادارها ممزوجة قد خالطت
والورق فى الأوراق قد هتفت على
فكأن أوراق الغصون ستائر

سعد الدين بن عربى :

وسماؤها للنخل والرمان
فيها ذبول ملابس الأغصان
تثنى عليه بألسن السوسان
إذ دغدغته أنامل الرياحان
خجلت خدود شقائق النعمان
ككتيبة ذهبية الصلبان
مرضا تكفل صحة الأبدان
كالسيف يرعد فى يمين جبان
فأماله بترجع الأغصان

وحديقة للزهر أصبح أرضها
سحبت بها السحب الذبول وقلصت
أهدى لنا الجسو النداء لما انثنت
وافتر ثغر أقاحها متبسما
قرص الحيا خدى بنفسجها فلم
وحدائق المتشور قد نظمت بها
خطرت بها ربح الشمال مريضة
والماء يسبح فى خلال مروجها
شرب القضيبي على غناء هزازه

الأمير حسام الدين عيسى بن سنجر الحاجرى :

وتحرش الأغصان بالأغصان
أنفاسه مسكية الأردان

حلف الربيع بقده الفتان
وبيهجة الزهر الأنيق إذا سرت

وبصفرة المنشور منه وحمرة لـ
وترنم الأطيّار تحسب أنها
وترقرق الماء القراح على حصى
لأمتعن أخوا الصباية والهوى
أنا بهجة الأيام تعرف قيمتى
أخذت عليه يد الصباية موثقا
الله أكبر ما ألد لشارب
أبّيت من رشف المدامة عاطلا
ورد الجنى وخضرة الريحان
أصوات شاد مطرب الألمان
كالدرد والياقوت والمرجان
منى بأطيب عيشة وزمان
جدلان حاز خلائق الخلان
أن لا يزال مشمرا الأردان
زمن الربيع وصحبة الأخوان
لا والصبوح ألية الندمان

سیدی أبو الفضل بن وفا قدس الله روحه :

نسمة الروض وأطيّار الجنان
يا خليلي وقد أشقى الهوى
أخبره أننى منفرد
ذكره صفو أيام مضت
حيث نجم الزهر من أفق الربا
حيث أفلاك الهوى دائرة
ولشجر الزهر فى دمع الحيا
أسماء الزهر أم زهر السما
والشذا بين الغصون شائع
اعلمما حيا بما قد تعلمان
مهجتى هل أنتما لى مسعدان
مغرم صب أعانى ما أعان
حيث صفت صبغ اللهودنان
والطلا والكاس فيه نيران
ولدى الشمس بذا البدر قران
فرح أوجببه فرط جنان
فى جنان الروض أم روض الجنان
متهاد من مكان لمكان

فكان الطير لما أنشدت
وكان الروض جنات وقد
والربا مخضلة يانعة
وترى ألفاظه مشرقة
يا زمان اللهو من أرض الحمى
يا أخا اللهو ألا عش وانتعش
واصطبج ثم اغتبق ثم اصطبج
عاجل اللذات فى أوقاتها
لا تبع إلا معاطاة يد

فى ربا الروض مغان فى معان
زخرفت والورد فيها كالدهان
مشتهى وجنى الجنات دان
ولعمرى إن فيها لمعان
أنت رب العيش لولا أنت فان
بزمان الصفو من صفو الزمان
لا تخف نلت من الدهر أمان
واغنم الفرصة من كل أوان
وتوكل وعلى الله الضمان

الشيخ تقى الدين بن حجة سامحه الله تعالى :

خلل التعل فى حمى ييرين
واطع ولا تذكر مع العاصى حمى
أنا سائل والنهر فيها لذتى
وجناس ذاك السكر يحلو للورى
والنبت يضبطه بشكل معرب
والغصن يحكى النون فى ميلانه
قالوا أتسلوا عن ثمار شطوطها
فهوى حماة هو الذى ييرينى
ما فى وراء النهر ما يكفينى
ومع افتقارى نظرة تغنينى
تحريقه ويروق فى تشرين
لما يزيد الطير فى التلحين
وخيالاه فى الماء كالتوين
فأجبت لا والتين والزيتون

بالاثمين على شريعتهما لكم
قلنا على الأعراف من ريحانها
وبسط شرعا يا لنا كم شرعت
لكن إذا اشتبكت رأيت الظل قد
وخيال ضوء الشمس دور فوقه
وعيونها كم قال هدب نباتها
فمتى يقابلنى الزمان بجيرة
ابن نبيه:

نديى ماس الآس فى سندسيه
ولاح بجيد الفصن والصبح طالع
وقد ضاع نشر الزهر حين وشى به
وألقي الضحى فى فضة النهر تيره
هو السيف إن أصداه ظل غصونه
وساق له وجه وكاس تقارنا
وأطلع شمس الكاس عند ابتكارها
سقى الراح مثل الراح من ريق ثغره
لأنى شممت الخمر من عنبريه
فأثرى الثرى بالنور من عسجديه
تولى شعاع الشمس صقل صديه
فسقاك شمسيا على قمريه
وشعشع نجم الكاس عند عشيه
وأين حساب الراح من لؤلؤيه
وأظهر ما أخفى لنا من حليه
من الطل عقد ماس فى جوهره
تنفس ندى النديم نديه
فأثرى الثرى بالنور من عسجديه
تولى شعاع الشمس صقل صديه
فسقاك شمسيا على قمريه
وشعشع نجم الكاس عند عشيه
وأين حساب الراح من لؤلؤيه
لأنى شممت الخمر من عنبريه

الشيخ أبو الفتوح نصر بن قلافس:

كم بات يجلو قهوة صهباء تكسو المدبر حلة حمراء
شمس لها من الدنان مترق كالنار إلا أنها لا تحرق
كأنا من ضوء تلك النار نشرب في بيت من النضار
ومقعد لا يملك القياما ولا يطيق دهره الكلاما
يحيل ما نودعه من السبج من غير ما خوف عليه وخرج
أنفاسه تخالا عقيقا أحسن بذاك منظرا أنيقا
أقول إذ يلوح للعيون يا حبذا الكانون في كانون
نودعه قلائدا من الفحم مثل سهاد الليل حين يدلهم
لأنها والنار فيها تلهب لناظرها آبنوس مذهب
ما أنا للعاذل بالمطيع وقد تبدي زمن الربيع
أما ترى الأطياف في ترنم تهيج شوق المستهام المغرم
والجو ما أحسنه وأجمله لما تبدي في حلل مصندلة
والأرض إذ تفتت عن أزهارها تستوقف الطرف على نوارها
من نرجس أكرم به من نرجس كأنه العيون ما لم تنعس
أو فأكف صورت من برد قد حملت مداها من عسجد
كأنما الطل على الورد الندى دمع جرى على حدود الخرد
أخجله النرجس لما أن نظر فاحمر من فرط الحياء والخفر

الشيخ عفيف الدين التلمساني :

نامت عيون النرجس فاستجل بكر مدامة
من فوق بسط بتفسيح خلعت خليعا واعتنت
لا عيش إلا بالمدا ومغيزلات نواظر
من كل ظبي نافر يعد الوصال ويدعى
بخدود ورد الأكؤوس معشوقة للأنفس
مرقومة بالسندس بجديد حسن تكيس
مة والنديم إلا كيس نعس وإلم تنعس
مستوحش مستأنس نسيان ذاك وما نسي

ابن وكيع التتيسي :

أهدى إلينا زمن الربيع لبرده وحسن المقدار
عدلى فى زمانه حتى اعتدل أنهاره من أحسن النهار
تضحك فيه الشمس من غير عجب وليله مستلطف النسيم
لسدره فضل على البدور فجاء فصلا حسن الجميع
كم يكشف حرهما الإكثار وجمل التفصيل منه والجمل
فى غاية الإشفاق والأسفار كأنها فى الأفق جام من ذهب
مقوم فى أحسن التقويم فى حسن إشراق وفرط نور

كجامة البلور فى صفاها
كأنه إذا بدت من نحره
رومية حلتها زرقاء
فيه تظل الطير فى ترنم
غناؤه وعجمه لا يفهمه
هذا وفيه للرياض منظر
فيه ضروب للنبات الغض
من نرجس أبيض كالثلجور
وروضة تزهر من بنفسج
قد لبست غلالة زرقاء
تبصرها لتأكل أولادها
يضحك فيها زهر الشقيق
مضمات قطعاً من السج
كأما المحمر فى المودة
أما ترى أترجه ما أحسنه
وارم بعينيك إلى البهار
وانظر إلى الخشخاش إن أردتا
كأنه مداهن من عسجد

أتعبت الخراز فى تقاها
جواره عند طلوع فجره
فى الجيد منها درة بيضاء
حاذقة باللحن لم تعلم
سامعة وهو على ذا يغرمه
ينشى القرا من سره ما يضمر
يحكى لباس الخيل يوم العرض
كأنها مخازن الكافور
كأنها أرض من الفيروزج
وكابدت بلبسها السماء
قد لبست من خزها حدادها
كأنه مداهن العقيق
فاحمرت بين احمرار ودعج
منه إذا لاح عيون الرمدة
تحتال لى غلائل مبينة
فإنه من أحسن النوار
يحكى كرات ظوهرت كيمختا
قد سمرت من قصب الزبرجد

فانظر إلى اللهو ولا تخلف فلست في ذلك بالمنصف
واشرب عقارا طال فينا كونها يصفر من خوف المزاج لونها
الشيخ جمال الدين بن نباتة وتسفى الطردية وتسمى أيضاً فرائد السلوك
في مصايد الملوك:

أثنى شذا الروض على فضل السحب وامتلت بالوشى أرداف الكتب
ما بين روض مسفر اللثام وزهر يضحك في الأكمام
إن كانت الأرض لها ذخائر فهى لعمري هذه الأزاهر
قد بسطتها راحة الغمام بسط الدنانير على الدراهم
أحسن بوجه الزمن الوسيم تعرف فيه نضرة النعيم
وحبذا وادى حماة الرحب حيث زهى العيش به والعشب
أرض السناء والهناء والمرح والأمن واليمن ورايات الفرح
ذات النواعير سقاة الشرب وأمهات عصفه والأب
تعلمت نوح الحمام المهتف أيام كانت ذات فرع أهيف
فكلها من الحنين قلب وكيف لا والماء فيها صب
لله ذاك السفح والوادي الغرد والماء معسول الرضاب مطرد
يصبو بها الرائي ويهفو السامع ويحمد العاصى فكيف الطائع
إذا نظرت للربا والنهـر فارو عن الربيع أو عن جعفر
لا عيب إلا أن مغانها الهنى ينسى أخوا الغربة حب الوطن

محاسن تلهي العيون والفكر
أمام كل منزل بستان
أما رأيت الورق في الأوراق
فبادر اللذة يا فلان
ولا تقل مشتي ولا مصيف
وكل زمان يتقضى بالجدل
ربيع روضات وشحرور صفر
وبين كل قرية ميدان
جاذبة القلوب بالأطواق
واغنم متى أمكك الزمان
فكل أوقات الهنا شريف
زمان عيش كلما دار اعتدل

زجل للصاحب كمال الدين بن نبيه وزير الشام والعراق:

مطلع الزمان سعد ومواتي
والربيع بساط وأخضر
دور والنسيم سحرا تنفس
والغصون تحكى الندامى
والغدير يمد معصم
والهزار يعمل طرايق
دور هات يا ساقى الحميا
من يكون البدر ساقيه
أنت والأوتار والكاس
لا تخاف الصبح يهجم
والحبيب حلو رشيق
والشراب صافي مروق
عن عبير زو مسك أدفر
من سلاف الغيم تسكر
ينجلي في نقش أخضر
في الغنا مزموور ومطلق
إن نجم اللي غرب
كيف لا يشرب ويطرب
للهيموم دوا مجرب
دع يجى ويركب أبلق

وأنا مسكين فى جهنم
أو خديدو والقميم
وعذار ودا المنمم
معدنى بأخضر معتق
لا تنم ما دمت تمكن
ما ترى ما أبهج وما أحسن
كنور آيات شاه أرمن
ما خلق وليس يخلق
راتو بين السناجق
والسيوف بحال بوارق
بشعاع على اخلايق
والنبي غدا انطلق

دور ذا المليح فى الجنة سيدو
آه على قبلة فى جيدو
لو ترى حمرة خدودو
كان ترى ثوب أطلس أحمر
دور يا نديم اسمع نصيحة
الصباح مثله فى الكاس
والشقيق حمرا وصفرا
ذا ملك تخال جمالو
دور ورشيقة المعاطف
والغبار بحال غمائم
وضيا جبينو يرمى
زعقت حرام زوجى

الخاتمة

وهى خاتمة الخير إن شاء الله تعالى فى التوبة والإخلاص وذم الخمر والتنفير عنها .

قال الله تعالى: «يا أيها الذين آمنوا إنما الخمر والميسر والأنصاب والأزلام رجس من عمل الشيطان فاجتنبوه لعلكم تفلحون» .

وفى الصحيحين أن النبى ﷺ قال: «من شرب الخمر فى الدنيا ثم لم يتب من شربها حرمها فى الآخرة» .

وفى الحديث المرفوع: جمع الشر كله فى بيت وجعل مفتاحه الخمر .

وفى كتاب المبهج: الخمر مصباح السرور ولكنه مفتاح الشرور .

وقال بعضهم:

تركت النبيذ وشرابه وصرت صديقا لمن عابه
شراب يضل سبيل الهدى ويفتح للشمر أبوابه

وقال عيسى عليه السلام: الهوى رأس كل خطيئة والنساء حباله الشيطان والخمر داعية كل سوء .

وروى عنه ﷺ أنه قال: «من شرب الخمر لم يقبل الله منه صرفاً ولا عدلاً أربعين صباحاً» . وروى عنه ﷺ أنه قال: «من مات مدمن الخمر مات كعابد الأوثان وكان حقاً على الله أن يسقيه من طينة الخبال قيل وما طينة الخبال، قال: عصارة أهل النار القيح والدم» .

وسأل رجل شريكا عن النبيذ فقال حلال، قال قليله خير أم كثيره، قال بل قليله. قال الرجل ما رأيت خيرا إلا وكثيره خير من قليله إلا هذا.

وقيل لبعضهم تركت النبيذ وهو رسول السرور إلى القلب، قال نعم ولكنه بثس الرسول يبعث إلى القلب فيذهب إلى الرأس.

وقيل لأعرابي لم لا تشرب الخمر فقال لا أشرب ما يشرب عقلى.

وقيل لبعضهم لم لا تشرب، فقال عقلى لا أقدر على جمعه فكيف أفرقه، وقيل الخمر يذهب العقل والدين والدرهم، وسئل بعض اللطفاء عن الشراب فقال تضييع مال وعقل وزيادة جنون.

ويحكى أن نصيباً كان يجالس عبد الملك بن مروان ويواكله ويناديه فألزمه ذات ليلة بالشرب معه فقال يا أمير المؤمنين لست لك بقرابة ولا لى عليك يد بيضاء ولا أنا ذو حسب ونسب، وإنما أنا عبد أسود قربنى منك أدبى وعقلى فكيف أرضى أن تسلبنى أدبى وعقلى اللذان قربانى منك، فتعجبت من كلامه وأعفاه.

ويقال أن عروة بن الزبير لما تأكلت رجله وخيف منها السرابة إلى النفس أمره بعض الأطباء أن يستعمل شيئاً يزيل عقله غير الخمر كالبنج ونحوه حتى يغيب عن الحس فلا يدر بألم القطع، فقال عروة ما يمكن أحدا أن يستعمل شيئاً يذهب عقله الذى عرف به ربه، فقيل إنهم صبروا عليه إلى أن أحرم بالصلاة، وكان فى ذلك الوقت من الغافلين عن الإحساس مشتغلا بخشوعه وتضرعه لربه فعمدوا إليه وقطعوا رجله وهو لا يحس بشيء.

وذهب بعض الحكماء إلى أنه لو أوصى لأقل الناس عقلا فإنه يصرف

إلى شارب الخمر لأنه يذهب إلى المال فيتلفه فيما يزيل عقله الذى هو أشرف ما فيه .

ومن الحكايات اللطيفة أن بعض الملوك قصد التفرج على المجانين، فلما دخل عليهم رأى فيهم شابا حسن الهيئة نظيف الصورة يرى عليه آثار اللطف وتلوح عليه شمائل السفينة فدنا منه وسأله عن حاله فأجابه بألفاظ عابرة وأحسن إشارة، وقال إنه كان له اشتغال فى مبادئ أمره، ثم إنه عرض له عارض أفضى به إلى هذه الحالة، فسأله الملك عن مسائل فأجاب عنها جميعها بأحسن جواب، فأعجبه عجباً شديداً.

ثم إن المجنون قال للملك قد سألتنى عن أشياء وأجبتك وإنى سائلك سؤالاً واحداً. قال وما هو، قال المجنون متى يجد النائم لذة النوم، ففكر الملك ساعة، ثم قال يجد اللذة حالة نومه، فقال المجنون حالة النوم ليس له إحساس. قال الملك قبل الدخول فى النوم، فقال المجنون كيف توجد لذة النوم قبل وجوده. قال الملك بعد النوم، قال كيف توجد لذته وقد انقضى، فتحير الملك وزاد إعجابه، وقال لعمرى إن هذا لأعقل من عقلاء كثير، فأولى أن يكون نديمى فى هذا اليوم، وأمر أن ينصب له تخت بإزاء شباك المجنون، ثم استدعى بالشراب فأحضر وتناول الكأس وشرب ثم ملاً وناول المجنون فقال أيها الملك أنت تشرب هذا لتصير مثلى، وأنا أشربه لأصير مثل من، فاعتظ الملك من كلامه ورمى القدرح من يده وتاب من ساعتته، وقيل إن هذا الملك هو الملك الأشرف شاه أرمن ممدوح الصاحب كمال الدين بن نبيه، فلما اتفق له ذلك ذهب إلى خمارة كانت بالشام فأمر بهدمها وبنائها جامعاً، وهو المعروف الآن بجامع التوبة.

والأحاديث والآثار الدالة على تحريمها أكثر من أن تذكر وأشهر من أن
تخصر وأجمع المسلمون على تحريمها إذا تقرر ذلك يجب على كل مسلم التوبة
منها ومن كل ذنب، وشرط التوبة الندم والإقلاع والعزم على أن لا يعود
فمتى فقد واحد من هذه الثلاثة لم تصح توبته وكان كاذبا على الله تعالى،
فعلى هذا كثير من الجهلاء يتوبون في أول الثلاثة أشهر، أو في أول رمضان
ويقولون فلان رفع السكين وليس قصده إلا تلك الأيام بخصوصها، وأنه إذا
جاء العيد انعكف على ما كا عليه وربما صار يعدها يوما يوما لثقلها عليه، ثم
لم يكتف بذلك حتى يتوهم أنه تائب وأنه يثاب على فعله، وبعضهم يتوب
إذا حصل له مرض وبعضهم إذا حصل له ضيق أو إفلاس فلعمري إن هذا
عين المعصية، ونعوذ بالله من هذا الاعتقاد السيء فهو من الأخسرين أعمالا
الذين ضل سعيهم في الحياة الدنيا وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا، وإذا
مات كان عاصيا مدمنا على المنكر، وإن لم يفعله في تلك الأيام فالأعمال
باليات وقد سئل رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن المدمن أهو الذى لا يستفيق من شربها قال لا ولكن
هو الذى إذا وجدها شربها ولو بعد حين، ومن رفع السكين في أول الثلاثة
أشهر ابن نبيه فقال:

عفت المدام ولو ذابت من الذهب	وقلدت بنجوم الدر لا الحبيب
ولم أقل ليد الساقى ووجنته	جل المؤلف بين الماء والذهب
وملت عن لحن شاد عودت يده	قود القلوب بارسان من الطرب
يا مجلس اللهو لا أصبو إليك ولا	شخص النديم إلى قلبى بمقترب
ويا رقيب الذى أهواه نم فلقد	أمنت منى الذى تخشاه فى رجب
شهر كريم كأن الله ألبسه	خلاتق العلم ابن السادة النجب

ومن تاب عند نزول المرض به على بن الشهاب فكتب إليه أبو الحسين

الجزار:

خلنى من ملامة الوام وأدر فى الدجى كؤوس المدام
إنما العيش أن يوافيك فى اللىـ ل بشمس النهار بدر التمام
حيها بالقبول منك كما حيثـ ك والق ابتسامها بابتسام
واسقنيها صرفا ونزه خلال الـ مء عن أن تشوبه بحرام
خل ربعا عفى وباكر ربيعا أنتجته مقدمات الغمام
إنما العمر هجعة ومسرا ت الليالى تمر كالأحلام
تب عن التوبة التى سولتها لك فى النفس كثرة الأوهام
وانسها طول شهر شعبان واذكر ها إذا ما استهل شهر الصيام
وتناول رطلا عتيقا من الخمر ر عقيب الغداء والحمام
واجعل النقل لثم خد وثغر من هلال أبداه غصن قوام
صفة تشهد الجماعة إنى لست أرضى فيها ابن سينا غلامى

فما فرغ من قراءتها حتى أحضر الشراب وشرب وكتب ابن سناء الملك

إلى الحكيم ابن نون وقد بلغه أنه تاب:

سمعت حديثا ليتنى لا سمعته فعندى منه مقعد ومقيم
بأن الحكيم الآن قد هجر الطلا وتاب فقلنا ما الحكيم حكيم

أترك شمس الراح وهى منيرة
 وكم من يد عند الحكيم لكاسه
 أنامت له من لا ينام وربما
 وذلك إنعام قضى بنعيمه
 فإن قال إني قد سمعت بشربها
 وطمئني إبليس حين عتبته
 فإن تسئلوني بالحكيم فإنني
 إذا ما جنى وجه المصيف فإنني
 على أنه كان قد تاب مخلصا
 فتوبته من سوء ظن بربه
 وتاب بعضهم عن الشرب فهجره أخوانه وجفاه عامة من كان يعاشره
 فعاد إلى الشرب وأنشد:

قد كنت تبت عن الشراب فلم أجد
 أقسمت لا أدع الشراب ولا أرى
 ما من أخ لي منذ كانت توبتي
 ويقول بعضهم لبعض تائب
 أحدا من الإخوان ألا يشرب
 إلا إلى أصحابه أتقرب
 إلا تجنبنى كأنى أجرب
 إن كنت تبت فقد رجعت فجربوا

وكتب ابن تميم إلى بعض أصحابه وقد تاب عن الشراب :

تركت شرب الحميا غير مفتكر فيها وفي شربها اللذات والطرب
فارجع فقد أسبل الراوق مدمعه وجدا عليك وقلب الكاس يلتهب

فلما رجع إلى قوله كتب إلى أيضًا :

إن كان قد أسبل الراوق مدمعه شوقا إليك وقلب الكاس يضطرم
فاليوم أعينه من فرط فرحته تفيض دمعًا وثمر الكاس مبتسم

وعن تاب توبة إفلاس الشريف بن الهبارية :

يقول أب سعيد إذ رآني عفيقًا منذ عام ما شربت
على يد أي شيخ تبت قل لي فقلت على يد الإفلاس تبت

وقال الصاحب بهاء الدين زهير :

قالوا فلان قد غدا تائبًا واليوم قد صلى مع الناس
قلت متى كان وأنى له وكيف ينسى لذة الكاس
أمس بهذا العين أبصرته سكران ين السورد والآس
ورحت عن توبته سائلًا وجدتها توبة إفلاس

ومن أخلص التوبة للقاضي محيي الدين بن قرناص بقوله :

سلوت عن الأحبة والمدام
وصلمت الأمور إلى إلهي
وملت إلى اكتساب ثواب ربي
وما أنا بعدها معطي عناني
أبعد الشيب وهو أخو سلو
فشربي الراح نقص بعد هذا

وقال آخر :

فكم أجريت في ميدان لهو
وكم قبلت وردا من حدود
سأولى الكاس تعبيسا وصدا
فهذا قد حوى خمرا حلالا
وذا حلوى متى ما ذقت منه
عزمت على الرجوع على المياه

وتلطف البديع الهمداني بقوله :

وفتيان كأقران الثريا
يساقبهم من الغزلان أحوى
تنادوا للمدام وعنقوني
فقلت أخاف عقباها ولكن
على طرف من العيش الرخيم
كأن بطرفه داء الظليم
وقالوا هاك حظك من نعيم
أشبعكم إلى نار الجحيم

ومن عيوب الخمر أن صاحبها يتكرهها عند شربه ويكلح عند شمه،
ويغتم إن فضل من قدحه، ويكثر غنا ساقيه ويمزجه ليتغير طعمه ويتجرعه ولا
يكاد يسيغه ويستعين على طيب فمه بعده بالنقل، ويلقى بعده من الجبار ما
يذهب عنه كل لذة.

قال بعض الحكماء لولا أن الخمر يعلم علته لأوصى وصيته ومن ذم
الخمر من العرب رجل من قريش فقال:

ومن يقرع الكاس اللثيمة سنه فلا بد يوماً أن يسىء ويجھلا
ولم أر مشروباً أشد سفاهة وأوضع للأشراف منها وأجملا

ويحكى أن المتنبى كان يأبى شرب الخمر ويكرهه فألزمه سيف الدولة
ذات ليلة فشرب عنده فلما انتشى وأخذ منه السكر فرطت منه فارطة وذلك
أنه مازح غلاماً بديع الجمال، ثم لم يتمالك أن قبله ثم ندم لوقته فقام
وانصرف وبقي أياماً لا يحضر مجلسه فأكثر طلبه حتى حضر، فأمره بالشراب
فامتنع وأقسم لا يشرب خمراً أبداً، فأنشأ يقول:

رأيت المداممة غلابة تهيج للمراء أشواقه
نسىء من المراء أخلاقه ولكن تحسن أخلاقه
وبالأمس مت بهما موتة وهل يشتهي الموت من ذاقه

وقال الأمير مجير الدين بن تميم:

لما عدلت خليلي في المدام وفي فعل الحرام فما أصفى وما ازدجرا
علمت حين رأني سمعه رجبا إن المحرم يبقى بعده صفرا

وقال النصير الحمامي :

أقول لللكاس إذ تبدي بكف أحوى أغن أحور
أخريت بيتي وبيت غيري وأصل ذا كعبك المدور

وتلطف فخر الترك أيدمر المحيوى بقوله :

الروض ماس وهذه أزهاره متجاذبا في أيكه أطياره
فاشرب على وجه الحبيب وغن لى هذا الحبيب وهذه آثاره

وأبدع من قال :

قد هجرت الراح حتى ليس لى فيها نصيب
وعلى الراوق حسبي طول ما عشت الصلب

وتلطف من قال :

تقول أثوابى لما رأت شيبى وتكفينى على صدرى
بالله يا شيخ أما تستحى إلى متى تصبغنى خمري

ولنحسن الختام بقول الشيخ عز الدين الموصلى رحمه الله تعالى :

يا رب إن العبد عبد مذنب وهو فقير ما له عنك غنى
قد قطف اللذات فى شبابه بجهله فاغفر له ما قد جنى

قال جامعه عفا الله عنه

هذا آخر ما انتقيته من كلام الشعراء ووقع عليه اختياري، وأنا أستغفر الله
عما جرى به القلم في غير طاعة الباري، فلقد كنت احترزت من الدخول في
هذا الباب الخطير والهول العظيم، إلى أن قدر الله به فقلت ذلك تقدير العزيز
العليم، فملت مع النفس واقتبست من مشكاة الأدباء وبدائع خمرياتهم ما
يسبى العقول فلم دع لأحد فيهم لمعة واقتطفت من بائع زهرياتهم ما يحيى
القلوب ولكنه كالياسمين لا يساوى جمعه:

على أننى راض بأن أحمل الهوى وأخلص منه لا على ولا ليا
والله تعالى يقينا السوء يوم الحساب ويتجاوز عما سطره القلم في
صفحات الكتاب.

وليس اعتقاد المرء ما خط كفه كما إن حاكى الكفر ليس بكافر
ويسقىنا من خمر الجنة ممزوجا من أنهاره بماء غير آسن، ويقيل عثراتنا
من تعاضم الذنوب ولكن:

إن ختم الله بغفرانه فكل ما لاقيته سهل
قال جامعه: وكان الفراغ من تبييضه وتحريره في يوم الثلاثاء المبارك
سليخ شوال سنة أربع وعشرين وثمانمائة.
انتهى الكتاب بعون الله وحسن توفيقه.